

سلسلة النفاضة الإسلامية

محمّد أبونزهرة

# الوحدة الإسلامية

المكتب العربي للنشر

محمد أبو زهرة

## الوحدة الإسلامية

أصدر عن

المكتب الفني للنشر

ص . ب ١٤٨٣ — القاهرة

المشرف المسئول الأستاذ :

محمد عبدالستمان

سبتمبر ١٩٥٨ م

طبعة طر القيد

١٤ شفع نجورة

## هذه السلسلة

نبدأها بعون الله تعالى ، ليكون مشروعها محاولة لإبراز القيم الإسلامية العظيمة ، في شكل بحوث يقوم بها المبرزون من الكتاب ، الذين لهم مكانتهم في الميدان الإسلامي ، والذين يعنون بما يكتبون ، ولا يكتبون إلا ما يعتقدون . .

ورجاؤنا أن تقف على قدمها صامدة بجانب الفكرة الإسلامية الناضجة ، وصاعدة للتيارات الفكرية التي لم تزل نشيطة للنيل من الإسلام ، وأن تسد بعد ذلك فراغاً في المحيط الإسلامي ، هو في ميسر الحاجة إلى من يشغله . .

ورجاؤنا أيضاً ، أن تنال هذه السلسلة عناية الكتاب واهتمامهم ، وثقة وتقدير طلاب الثقافة الإسلامية في كل مكان .  
إن وجهتها : الله . . والإسلام . . وأيسر معهما شيء آخر . .

والله الموفق ؟

## كلمة : المكتب الفني للنشر

يسر المكتب الفني للنشر أن يبدأ سلسلة الثقافة الإسلامية  
أستاذنا الكبير ، فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة وكيل كلية الحقوق ،  
وبموضوع الوحدة الإسلامية .

أما فضيلة أستاذنا الكبير فلا جدال في أنه غنى كل الغنى عن  
التعريف ، فهو أحد العلماء القلائل الذين لهم مكانة في قلوب  
الشعوب المسلمة ، وفهم ثقة بأنفسهم واعتزاز بأقلامهم ، وفهم غيرة  
الحريصين على الإسلام ، من أن يعيث بمقدساته . . الأقلام التي  
يهمها أن تشبع الأهواء . . قبل أن ترضى الإسلام . .

أما موضوع الوحدة الإسلامية . .

فلا جدال أيضاً في أنه خير موضوع تبدأ به سلسلة الثقافة  
الإسلامية ، فالإسلام يتضمن كل مظاهر الوحدة بالنسبة لأمة ،  
وما فرضت الفرائض على المسلمين ، وما كتب عليهم الجهاد إلى أن  
تقوم الساعة ، إلا ليرتبط المسلمون ارتباطاً وثيقاً في حياتهم :  
ارتباطاً روحياً . . وارتباطاً مادياً . . ارتباطاً سياسياً . .

وارتباطاً ثقافياً . . وارتباطاً اقتصادياً . . وارتباطاً إنسانياً ،

وليكونوا بعد ذلك أمة واحدة ، وقوة واحدة - تأمر بالمعروف  
وتنهى عن المنكر .. وتكافح في سبيل القيم الإسلامية الخالدة .

وهذا المعنى حين كان حياً في نفوس المسلمين ، كانت لهم  
مكانة يحسب لها حسابها ، وتخشى صولاتها ، واستطاعت أمتهم أن  
تسير نحو الكمال قدماً ، وأثبتت وجودها في ميادين التقدم  
والحضارة والعمران .

ولم يصب المسلمين اليوم - والامس القريب - ما أصابهم من  
الاحلال وتفكك ، وتخاذل وتقهقر ، وأخذ بأسباب الضعف والهوان ..  
إلا حين فقدوا هذا المعنى في قلوبهم ، وتنكرت له عقولهم .

إن الاحلاف التي صاغتها كلتا الكتلتين الكبيرتين وفقر غياتها  
ومصالحها ، لها وجودها اليوم .. وليس للمسلم أن يتساءل :  
أين الحلف الاسلامي والمسلمون تجمعهم عقيدة واحدة ، تفرض  
عليهم أن يتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد واحدة  
على من سواهم ؟ ..

ليس لهذا المسلم أن يتساءل : فالمسلمون ارتضوا لأنفسهم أن  
يكونوا فئراناً تلتقط فتات الأسود في خوف وحذر ، وأن يقنعوا  
بالجلوس .. أيتاماً . على موائد اللثام . !

## الوحدة التي نريدها



• إن الوحدة التي نبتغيها  
لا تمس سلطان ذي  
سلطان يقيم بالحق  
والعدل في المسلمين . .

• ولا شكل الحكم في

الأقاليم الإسلامية ، فكل إقليم أسلوب حكمه  
مادام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويحقق  
المعاني الإسلامية السامية . .

• وإنما معنى الوحدة الإسلامية أن نعتبر أنفسنا  
مرتبطين بروابط وثيقة ، تمتد جذورها في أعماق  
أنفسنا . .

• فالإسلام دين الوحدة الجامعة الشاملة . كما  
هو دين التوحيد الخالص . .

محمد أبو زهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

## بين الماضي .. والحاضر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، والجامع لوحدة العرب بعد أن كانوا في افتراق ، فكانت أولى نعم هذه الرسالة توحيد المتنازحين : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . »

١ — إن الإسلام دين الوحدة ، كما هو دين الوحدانية ، فإذا كان شعار الإسلام الخالد إلى يوم القيامة هو وحدانية المعبود ، ووحدانية الخالق ، ووحدانية الذات الإلهية : « ليس كمثله شيء . وهو السميع البصير ، — فكذلك أحكام الإسلام كلها تتجه نحو الوحدة ، سواء في ذلك أحكام العبادات ، وأحكام المعاملات ، وأحكام التنظيم الإنساني العام ، فهو بأحكامه ووصاياه يدعو إلى الوحدة الإنسانية لا فرق بين جنس وجنس ، ولا لون ولون : كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . »



ولقد صرح القرآن بالوحدة الإنسانية ، وأنها حقيقة مقررة .  
في ابتداء الخليقة ، ولكن فرقها المنازع والأهواء ، وأن الغاية المثلى  
لكل الأديان السماوية — وخصوصا الإسلام — هي إحياء هذه الوحدة  
وإزالة الأحقاد ، والقضاء على العناصر التي تدعو إلى الشر ، وتثير  
الخصام ، والتي تسعى في الأرض لتفسد فيها :

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين  
وأُنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه  
إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا  
لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

٢ — وإن الإسلام ليقرر الوحدة الدينية في أكمل مظاهرها ،  
فهو يقرر أن الرسالة الإلهية واحدة ، وإذا كان إبراهيم أبا الأنبياء  
في عهود الرسالة الإلهية المذكورة من بعد نوح عليه السلام ، فإن  
القرآن يذكر في أكثر من آية أنه يدعو إلى ملة إبراهيم :

« وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم  
المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا  
شهداء على الناس ... »

ولهذه الوحدة الدينية في الرسالة الإلهية دعا الإسلام إلى الإيمان بكل  
الأنبياء السابقين ، واعتبر إنكار رسالاتهم إنكارا لجزء من الرسالة  
المحمدية : « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم  
واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ،  
والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

فالإسلام يثبت الوحدة الدينية ويقررها حقيقة ثابتة ، ولو ذهب  
التغيير والتبديل والتعصب المفرق ، لالتقى أهل الأديان السماوية على  
المائدة الروحية للرسالة الإلهية ، ولـكان ذلك الالتقاء الروحي في صرح  
النبوّة الذي ذكره النبي صلوات الله عليه — وذكر عليه السلام — أنه آخر  
لبنة في هذا الصرح للشامخ لمن يتسامى عقله إلى معرفته وإدراكه .

٣ — وإذا كان الإسلام دين الوحدة في الرسالة الإلهية ، والوحدة  
في الإنسانية ، فإنه من المؤكد دعا إلى الوحدة بين الذين آمنوا به ولم  
يرتابوا ، واتبعوا أوامر الإسلام في كل أمر جامع لوحدهم ، واعتبرهم  
إخوة فيما بينهم ، وقد ضرب النبي المثل بينهم بأخوة مثالية ، لم يعرف  
التاريخ لها نظيرا ، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بين  
المهاجرين بعضهم مع بعض ، وآخى بين الأنصار بعضهم مع بعض ،  
وكانت هذه الأخوة المقدسة تجعل المتيسر من الأخوين يشاطر الآخر ماله  
وتجعله بين أهله ، ولو لم تربطه به قرابة ، ولا رحم موصلة ، فكان  
الإسلام وحده هو الرحم الواصلة ، لأن قلوبهم اتجهت إلى الله لا تعرف  
سواه ، وسمت عن كل أعراض الدنيا ، وجعلوا حب الله غايتهم ومبتغاهم .  
وأصبحوا يحبون الشيء لا يحبونه لإلله ، وأدركوا معنى التهديد في قوله تعالى :  
« قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم  
وأموال اقترفتموها وتجارة نخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب  
إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ،  
والله لا يهدي القوم الفاسقين . . »

كانت الوحدة المقدسة التي باركها الله ورسوله قوة للمؤمنين ، فلم

بفسقوا عن أمر ربهم ، ولم يستبدلوا بقوة الإيمان ومحبة الله وحده —  
أمراً من أمور الدنيا ، ولا غرضاً من أغراضهم ، ولذلك انبثق نور  
الإيمان على ألسنتهم وأفعالهم وكل اتجاهاتهم : ويؤثرون على أنفسهم  
ولو كان بهم خصاصة .

٤ — ولما انتقل النبي صلوات الله عليه — إلى الرفيق الأعلى  
وحمل عبء الخلافة من بعده الحواريون من أصحابه ، وتولوا القيام  
بتنفيذ وصاياه كلها ، نفذوها مجتمعين لا متفرقين ، ومتحدين غير  
منقسمين ، فتقدموا إلى ملك كسرى وأزالوه ، وإلى عرش القيصرية  
خطموه — وإن لم يزيلوه — وكانوا قوة في الأرض تهدي إلى الحق ، وإلى  
صراط مستقيم بقوة اتحادها ، وبقوة أخلاقها ، وبالرأفة والرحمة التي  
أودعها الله قلوبهم ، مع الإيمان الذي جعلهم رحماء فيما بينهم وأشداء  
غلاظاً على من يكفرون بالحقائق الإلهية ، والفضائل الخلقية ، والوحدة  
الإنسانية ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله  
لا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فبذلك الإخلاص الذي اقتبس الصحابة نوره من الهدى الحمدي ،  
ولقائه النوراني ، والحضور في مجالسه القدسية التي كانت ترفع نفوسهم  
من أعلاق الأرض — انتشر الإسلام وشرق وغرب ، وجمع الإيمان تحت  
لوائه قلوباً متحدة ، وإن تفرقت الأقاليم ، وتخالفت الألوان ، وتباينت  
الاجناس ، حتى لقد كان المؤمن الصادق الإيمان يفخر بأنه ابن الإسلام .  
لأنه ليرى أن العرب كانوا يتفاخرون بأنسابهم ، وسلبان الفارسي  
في حضرتهم فقالوا له : ابن من أنت ؟ فقال المؤمن التقى مستشرفاً مستعلياً  
« أنا ابن الإسلام ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فبكي ،

وقال: وأنا ابن الإسلام .. وأخذ يكررها ، والدمع يذرف من عينيه .  
• - ولما تحول الحكم الإسلامي من خلافة نبوية إلى ملك عضوض ،  
كان الإسلام لا يزال غضا في القلوب ، ولذلك لم يؤثر هذا التحول في  
الوحدة الإسلامية ، وإن كان بعض حكام بني أمية قد تصبوا للعرب ،  
وأرادوا أن يعيدوا العصية العربية جزعا ، إلا أن قوة الإيمان قد محت  
ما كان يثيره هؤلاء الملوك وأشباههم .

فلما جاءت الدولة العباسية وهي دولة عربية في نسبها - وانتصرت  
بقوة الفرس - خفت صوت التعصب العربي ، ولكن قام مقام العصية  
العربية الحركات الشعبية ، فأخذت هذه الحركات تنمي وتزيد ، واشتد ،  
حتى قامت الدول الإقليمية ، وانتشبت الخلافة العباسية إلى عدة دول  
تتنازع أحيانا ، وتختلف أحيانا ، ولا تتحد إلا قليلا .

وحينما كانت العباسية في الشرق قوة متحدة ابتداء ، متنازعة انتهاء ،  
كان في الأندلس الدولة الأموية الثانية التي أقامها صقر قریش عبد الرحمن  
الفاطح ، فكانت هذه قسما مناونا للخلافة العباسية ، فإذا اختلفت العباسية  
مع الدولة الرومانية الشرقية وقاثلتها ، وجاهدت في سبيل الله بقاتلها ،  
ازدلفت هذه إلى الأموية في الأندلس ، وذهبت وفودها معونة لها والولا .  
وفي مقابل ذلك تزدف الرومانية الغربية إلى الرشيد وأولاده وأحفاده ،  
ولا ننسى أن هذه الدولة الغربية هي التي قتلت المسلمين في الأندلس ،  
ومزقتهم ، وشردت بهم ، وفنتهم في دينهم ، وأقامت محاكم التفتيش  
لتعذيبهم ، حتى محى الإسلام محوا تاما من فردوسه في الدنيا ، وما زالت  
الرسوم والأطلال في تلك الديار تعان ما أقامه مجد الإسلام . وتعلن  
مع ذلك ما هدمه تفرق المسلمين ، واتخاذهم أعداء الإسلام أولياء .

ومنا بذتهم المسلمين واتخاذهم أعداء .. ١

٦ — تفرق المسلمون دويلات متعادية غير متلاقية . وقامت اللغات القديمة مقام اللغة العربية في البلاد التي عربها الإسلام ، وكان منها الذين أسهموا بأكبر حظ في العلم الإسلامي ، وما زال تراثهم الخالد الباقي . يقرأ بالعربية ، فجار الله الزمخشري ، ونفر الدين الرازي ، وأبو حامد الغزالي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وأبو مسلم الاصفهاني ، والراغب الاصفهاني ، والفارابي وغيرهم كثير .. قد أودعوا العربية مخزون تفكيرهم وصافي علمهم ، وهم من بلاد كانت العربية لغتها ثم حلت محلها اللغات الإفريقية

كانت اللغة مظهراً أقوى من أى مظهر في الدلالة على التفرق والانقسام ، وتنافر القلوب ، وانشعاب النفوس ، ولكن مع ذلك بقي القرآن والسنة والعلم الإسلامي جامعا ، مانعا من أن يبلغ الاختلاف أقصى مداه ، ولكن ما كان يصنعه القرآن من التوحيد يحاربه ذوو السلطان بالحرب والتفريق .

وفي وسط ذلك الاختلاف انقض الصليبيون على الشرق وكانوا من الرومانية الغربية وما وراءها ، وكانت الجولة الأولى لهم حتى تصدى لهم محمود زنكي ومن بعده صلاح الدين الأيوبي ، فأزالهم بعد طول جهاد ، وكان صلاح الدين يقاتل في ميدانين : في لقاء الأعداء في الخارج ، وفي الداخل بمنع الدسائس التي كان يبشها الباطنيون من المسلمين ، الذين رأوا في ولاء هؤلاء المغيرين نصرة لهم على إخوانهم المؤمنين .

ولاحول ولا قوة إلا بالله .. ١

وفي وسط الاختلاف بين الشيعة والسنيين ، وانقسام المسلمين إلى دويلات انقض أيضا التتار ، فأزالوا بقية الخلافة العباسية من بغداد ، وقد صارت خيطا واهيا أوهى من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، وانسابوا بعد زوال الخلافة في الأرض الإسلامية حتى استولوا على دمشق ، ومالاهم من مالا هم فيها من أعداء الإسلام ، وأعداء المسلمين ، ولكن الله سبحانه جمع قلوب العرب المسلمين فأخرج جوهم من ديارهم ، وكانت مصر والشام بتعاونهما لهما الفضل في وقف ذلك التيار الجارف المخرب .

٧ — جاءت الدولة العثمانية فاستولت على ذروة الإسلام ، وكانت لها فتوح في أوروبا ، وأزالت دولة الرومان الشرقية ، وقد استولت على البقاع الإسلامية ، ولكنها اعتبرتها مفتوحة لها ، كانت تفرض عليها جزية كما تفرض على البلاد المفتوحة من غير الديار الإسلامية ، فكان ذلك الجمع السياسي يطوى في نفسه أسباب التفرق الحقيقي . ولا ينسى التاريخ أن الأندلس الإسلامية سقطت ، والدولة العثمانية في إبان سطوتها وأشد قوتها ، ومراكبها جاربات في البحر كالأعلام ، ومع ذلك لم تشعر أن هؤلاء مسلمون تجب حمايتهم ، وتوفير الحرية الدينية لهم ، ومنع قتلهم ، فمن أجل فتنه المسلمين الأولين عن دينهم قاتل محمد — صلوات الله عليه — المشركين لإجابة لأمر الله تعالى :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . »

واعتبر القرآن فتنة المؤمن عن دينه أشد من القتل ، وقد جمع المسيحيون في الأندلس بين الشرين ، ففتنوا الناس عن دينهم ، وعذبوهم إذ أعلنوا الكفر ، وقابهم مطعون بالإيمان . . ثم قتلوهم .

كل هذا والدولة العلية ساكنة كأن الأمر لا يعينها ، وكان أولئك ليس عليها واجب بالنسبة لهم ، فذهبوا تحت عينها وبصرها ، وأساطيلها تمخر عباب البحر تغدو فيه وتروح .

كان جمع الدولة العثمانية والأقاليم الإسلامية أساسه الغلب الاقليمي . كما أشرنا ، ولم يكن أساسه الايمان ، وجمع كلمة المسلمين ، واعتبار المؤمنين جميعاً أخوة :

« إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلمكم

ترحمون . »

٨ — ولذا لم يكن جمع العثمانيين للأقاليم الإسلامية جمعاً أساسه وحدة القلوب ووحدة الايمان ، والالتقاء على نور ومحبة من الرحمن ، بل كان أساسه الغلب ، فإنه لم ينظر المسلمون إلى حكمها نظرة الراعي الشفيق ، بل نظروا إليها نظرة المتحكم الغالب

ولقد أخذت الدولة تضعف يدها عن القبض على زمام الأقاليم الإسلامية ، في وقت استيقظ فيه الغرب ، ووجدوا في الأقاليم الإسلامية مغنماً يغنمونه ، ومستراداً يسرون فيه جيوشهم وجنودهم مسيطرة حاكمة ، وأخذوا يقطعون من الأقاليم الإسلامية قطعة بعد قطعة ، واليد الواهنة تنقبض شيئاً فشيئاً حتى سميت الدولة العثمانية بالرجل المريض ، وذلك حق ، لأنهم أخذوا يفتسمون تركته في مرض موته لا يمنعمهم مانع عن الأخذ والاقتناص ، ولقد صدقت نبوءة النبي - صلوات الله عليه - عند ما قال في حديث أكثرنا من ترداده ، ولم نعتبر به : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم تداعى الآكلة على قصعتها ، قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال :

بل أنتم كثير ، ولكن غشاء كغشاء السيل ، واينزعن الله من قلوب عدوكم والمهاجرة منكم ، وليلقين في قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت ، فقد جاء ذلك الزمن الذي تداعت علينا أمم أوروبا آكلة مستمرثة من غير مقاومة مقاوم ، وما جاء القرن الثالث عشر الهجري إلا والأقاليم الإسلامية كلها مغلوبة على أمرها ، يتصرف فيها غيرها ، ويتحكم فيها أعداؤها .. وأمرؤها وملوكها قد استسلموا ، وكانوا ضعافاً أمام الأعداء أشداء على المؤمنين ، وكانوا أذلة لغير المؤمنين أعزة على المؤمنين ، وأعطوا الولاء لغير المؤمنين ، وتركوا ولاية الله تعالى ، مع أنه لا ولاية لمؤمن غير ولاية الله : د إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون — ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون — يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار أولياء ، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين .

٩ — وفي هذا الوقت الذي أصبحت فيه الأمة الإسلامية سداً بدأ ، لاجامعة تحميها ولا رابطة تربطها — انبثق في الديجور المظلم صوت قوى ، هو صوت الحق ، نادى به زعيم النهضة الإسلامية في عصرها الحديث د جمال الدين الأفغاني ، فقد حمل دعوته مطوقاً بها في الأقاليم الإسلامية ، وما مرفى أرض إسلامية إلا ترك وراءه مشعلاً من مشاعل النور في تلاميذ ومريدين تقبلوا ما تدعو إليه ، وحلوا ما حمل من هذه الدعاية ، ولعل أبرز تلاميذه من كانوا في مصر ، وعلى رأسهم الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، ولقد جمع دعايته في إحدى العواصم الأوربية ،



وأصدر المجلة التي حملت الدعوة إلى الوحدة وهي العروة الوثقى ، ولم تكن دعوة السيد جمال الدين صرخة في واد ، بل كانت بذرا صالحا ألقى في أرض طيبة ، ولكن لم تكن في جو يناسبها لسيطرة الاستعمار ، ولذلك لما ماتت مجلته وشيكا من صدورهما لم تمت دعوته ، بل صارت تتردد في القلوب وعلى الألسنة ، وأخذ تلاميذه يهجون السبيل لتحقيقها بطرائق مختلفة ، فالشيخ محمد عبده رأى أن يبتدىء بالثقيف والتعليم ورد الحقائق الإسلامية إلى القلوب غضة كما ابتدأت ، وتطهير الإسلام بما علق به على مر العصور بما ليس منه ، وأتجه بعض تلاميذه إلى التحرير الإقليمي مع التعليم والثقيف ، حتى إذا أخرج كل إقليم نفسه من نير الاستعمار ، تلاقت الأقاليم الإسلامية تلاقى الأحرار ، وكان هذا مما صرح به الأستاذ الأكبر السيد جمال الدين رضى الله عنه ، ودعا إليه في كل إقليم حل به .

١٠ — لقد نجحت حركة التحرر الإقليمي إلى حد كبير من النجاح ،

وانقبض ظل الاستعمار عن أكثر الأقاليم الإسلامية ، ولم تبق دون الحرية السياسية الكاملة في كل إقليم إلا حواجز من رغبات بعض الملوك ، الذين أصبحوا يتوجسون من الحرية كما يتوجس بعض الخفافيش من النور ، وحواجز من رغبات بعض الرؤساء الذين آثروا ولاء الأجنبي على الأخ المسلم ، حواجز أولئك الذين ضعف تفكيرهم واستولى الأجنبي على قلوبهم ، ومن هؤلاء من لا يؤمن بشيء ، ومنهم من يؤمن بالولاء للمستعمرين أكثر من إيمانهم بالقرآن ، ومنهم من شأهت الحقائق الإسلامية في قلوبهم ، فأدركوها على غير وجهها ، وحرّفوا الكلم عن مواضعه ،

ففي الوقت الذي خرجت الجيوش الغازية الأراضي ، أبقى ذلك الغزو  
النفسى ، ولكن الموجة ستطوى هؤلاء طي السجل للكتب ، وتركهم  
في اللجة لا يحس بهم أحد ، ولا قدرة لهم على الوقوف في وجه القافلة  
الإسلامية التي تسير .

١١ — لقد انبج الصبح ، وبدا الصريح عن الرغبة ، وذهب  
الزبد ، وبقي ما ينفع الناس ، وأصبحت المدينة الأوروبية وما يتبعها  
لا تغزو إلا من ضعف عقله ودلى نفسه بغرور من غير أسباب ، فكان  
حقا على المسلمين أن يفكروا في جمع أنفسهم .

إن في العالم اليوم كتلتين تتحكان في مصائر الخليقة ، وهما في تنافس ،  
وقد تقاربت قواهما ، وكلتاها تستعد للاقتراس ولا ينمها إلا خشية  
الخراب يلحقها ، ولا يصح أن يكون المسلمون تابعين لإحدى الكتلتين ،  
ولا بد أن يتجمعوا لخير الإنسانية ، وليكونوا شهداء على الناس ،  
والرسول عليهم شهيد .

إن المسلمين إذا لم يتجمعوا صاروا مزقاً لغيرهم ، بل صاروا  
أشلاء لا تقوى على العمل ، ولا تنفع نفسها ، ولكن تكون منها  
أدوات تستخدم ، وتكون أرضها وماؤها وخيراتها لغيرها ، أما إن  
اجتمعوا فقد يصيرون قوة تنفع نفسها ، وتنقذ جزءاً من العالم ،  
بوتصحيح بلسان القرآن : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا  
تعبوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين .

هذه الوحدة الإسلامية

## حقيقة لا جدال فيها

إن من نافلة القول عند من يعرفون الحقائق الإسلامية أن نقول لهم : إن المسلمين أمة واحدة . . بل لعلمهم يعدون ذلك من الفضول الذي لا يجوز الكلام فيه ، لأنه بديهية من البديهيات المقررة في الاسلام ، ولأنه أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يمارى فيه مؤمن ولا ينهى أن يجادل فيه مسلم ، ولكنتنا في عصر غربة الاسلام ، صارت حقائقه غريبة ، حتى إنها في بيانها تحتاج إلى استئناس لتزول غربتها وتذهب وحشتها ، بل نحن في حاجة إلى أن نبينها وندافع عنها غير وانين ولا متهاونين ، ولا بد أن تنفّر منا طائفة تحمل الدعوة إليها ، وتحث الناس عليها ، فإنه لا عزة للإسلام إلا بها ، ولا قوة للمسلمين إلا بوجودها ، إذ أن من المقررات الثابتة أن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح أولها ، ولا نستطيع أن نعود إلى ماضيها العزيز الكريم ، إلا إذا أخذت بالأسباب التي قام عليها ذلك الماضي ، وأنه لا عزة لهذه الأمة التي جمعها الإيمان إلا بأن تستمد من صدر تاريخها قوة وإيماناً ومن دينها الجامع بينها قوة وثبيتاً ، وذلك يكون إذا تلاقت أقاليمها وآحادها على أمر جامع لا يفرقون فيه ولا يختلفون . أحوالهم مستطمة

وإذا كنا قد أهملنا في الماضي فعلياً أن نستيقظ في الحاضر ، وقد نادى بنا إهمالنا إلى أن التهمنا ذئاب الإنسانية ، إقليماً . . إقليماً . . وأن صرنا نهباً مقسوماً بين الناس ، يختلفون في أمرنا أو يتفقون ، ونحن

لا حول لنا ولا طول ، يستشار أعداؤنا فينا ، ونحن نترقب ما يفعلون  
مستسلمين غير مغيرين ، يشحذون السيوف ، ونحن نرى بريقها ،  
ولا نحسب أنها تصوب إلينا .. أولا .. وبالذات .

ولقد استيقظ النائم من سباته وتنهت المشاعر ، وتحركت النفوس ،  
ولكن في الدوائر الإقليمية والنزعات الوطنية ، وإن ذلك محدود في ذاته  
على أنه خطوة لا غاية ، وعلى أنه سير في الابتداء وليس هو غاية  
الانتهاء ، وأنه كان أمرا لا بد منه لأن أعداء الإسلام ما كانوا يسمحون  
بأن تتلاقى على مائدة الاسلام ، وهم يرون فيها انتهاء استغلالهم وذهاب  
استعمارهم ، فكان الطريق للخلاص أن يتحرك كل إقليم في موضعه حتى  
يخلع الرقبة ، فإذا تخلص الجميع أمكن أن يتلاقوا على عزة وحرية ،  
وأن يتدبروا شئونهم ودينهم الذي ارتضوا ، وأن يسمعوا صوت الحق  
يناديهم بندائه الخالد إلى يوم القيامة :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون -  
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم  
إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على  
شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم  
تهتدون - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون - ولا تكونوا كالذين تفرقوا  
واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . . . »

لقد كنا معشر المسلمين في غمرة ، حتى صرنا وقود الحروب نؤكل  
وتستغل كل قوانا ولا ننتفع بشيء من أمورنا ، وتستنزف كل خيراتنا

ولا ننال منها إلا النزر اليسير ، الذى يجود به علينا المتحكمون فينا ، فأرادونا زراعا وهم الحاصدون ، وأرادونا صناعا وهم المثرون ، حملونا على ترك مبادئ ديننا مبدأ مبدأ ، ونزعوا من قلوبنا حب الجهاد ، وألقوا فيها الوهن وحب الدنيا الضئيلة النافهة ، وذلك بما كانوا يثبونه بيننا ، وما يغرون به كبراءنا .. حتى صار أمر هذه الأمة سدى بدأ ، وصارت القيادة فيها ... إلى الجهلاء بأمر دينهم .

وكانت تلك حالتنا فى حروبهم التى شنها بعضهم على بعض .

غير أن الله أفاض علينا بنعمة الاعتزاز من بعد ، وأذهب عنا الاغترار بهؤلاء الذين كانوا يسوموننا الهوان ، ويذيقوننا عذاب الهون بما كسبنا وبما أهملنا ، فإنه بعد الحرب العالمية الأولى أخذت عقول الشعوب تنبيه، وعزائمها تتحرك ، وكانت مغالبة بينها وبين الغالبين من جهة ، وبينها وبين الذين أقامهم الغالبون ستارا يحكمون الشعب بأسمائهم من جهة أخرى ، يتحكمون فى الرقاب بسلطانهم الوهمى الذى ليس من الدين ، ولكن الشعوب إذا تحركت لا ترجع ، فلما جاءت الحرب الثانية قادونا إليها وليس لنا فيها ناقة ولا جمل ، ولم تستطع الشعوب فككا من حكمها ، لأن مقاليد الأمور لم تكن بأيدي ممثليها ، ولكنها فى هذه الجولة لم تكن كالأولى وهم فيها كانوا شرا بما كانوا . فقد أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم فى بقعة من أرض الاسلام ، ومزقوا أهلها كل ممزق ، وتركوهم يأكلهم العرى والجوع بلا مأوى يؤويهم ، ولا أرض يستقرون فيها ، فكان ذلك كالمبضع يقطع فى جسم حي قد ذهب منه المخدر ، أو كالسكين تقطع فى إنسان حى تكونت

الله إرادة وعزيمة ، فعمل المسلمون حينئذ أن هذا ابتداء وأنه لا بد من أن يقطع على أولئك السبيل حتى لا يصلوا إلى نهاية الطريق ، فإنها الموت المحجوب ، ثم عندئذ علموا أنه لم يعد للاستضعاف موضع في إرادتهم ، وأن من يريد الحياة يحيا ، ومع اليأس والقنوط الفناء ، وأن موتا في سبيل الحق هو عين البقاء ، وأن حياة في الذل هي عين الفناء ، فكيف وهو الفناء المؤكد بدرت بوادره وظهرت مظاهره ، ولقد تنهوا فوجدوا قول الحق الخالد :

«إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كُنتُمْ ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا — إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا — فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا — ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بينته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفورا رحيما .»

وفي نهاية هذا المعترك الفاصل بين النوم واليقظة ، وبين الاستخذاء والاستعلاء... نهضت الأقاليم الإسلامية فاستقل بعضها استقلالاً كاملاً ، واستقل بعضها استقلالاً نسبياً اختفت فيه يد الأجنبي ، وإن كان له عمل وراء الستار ، ولكن الشعوب لها إرادة ، وتريد الإسلام وعزته ، وتريد الاستقلال الكامل وحرية .

وإن هذا العصر هو العصر الذي تتجمع فيه الدول ، ويحس كل إقليم

أنه ما كول إن لم يكن في جماعة من الأقوياء ، وأنه مغلوب على أمره إن لم يتجه مختاراً إلى تجمع دولي ، وقد بدأت التجمعات الدولية والأحلاف العسكرية التي يريد كل حلف فيها أن يكون المسيطر في الحروب ، والغالب عند ما تشتعل النيران ، وتلافت التجمعات في جمعين : — شرق ، غرب ، فهل لنا نحن المسلمين أن نتلاقى في تجمع وروحي لا يبني على الغلب وحسب السلطان ، ولكن يبني على الإيمان وطاعة الديان . . ؟

إن هذا التجمع ليس أمراً ضد الفطرة كذلك التجمعات التي تبني على مقاومة الفطرة ، ولكنه نداء الفطرة ونداء الحقيقة الخالدة التي خلق بها القرآن في قول الله تعالى :

ويا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير . . ،

لأنه قد تكونت الدول الإسلامية تحكم شعوباً إسلامية وقطعت أصابع الأجنبي من بعضها واستردت في بعضها ، ولكن قطعها لا يحتاج إلى مجرور حرب ولا إلى ثورة عنيفة ، وإنما يحتاج فقط إلى تغليب المصاحبة الحقيقية على المصلحة الوهمية ، والعقيدة الإسلامية على المطامع الأشعية ، والنفس الخازمة الضابطة على النفس الأمارة بالسوء ، التي يسيطر عليها الهوى ، يحتاج إلى ضبط الأهواء ويحتاج إلى الاعتزاز بالاسلام وحده :  
«وقه العزة ولرسوله وللمؤمنين، وإنه قرآن لنا أن نتجمع لأن الاسلام يدعو إلى هذا التجمع ، ولأننا إن لم نجتمع بشعار الاسلام وحده ، ونذهب كل إلى تجمع لا يحمل شعار الاسلام ، تقع الحروب بين المسلمين ، ويقا تل المسلمون إخوانهم من المسلمين تحت ظل لواء غير لواء الاسلام»



ولم يكن ذلك أمرا يتوقع فقط ، ولكنه أمر ثابت قد وقع في الحرب العالمية الأولى ، فقاتل كثيرون من المسلمين جنود الأتراك المسلمين ، ولم يكونوا في ظل إسلامي إذ يقاتلون ، بل كانوا يقاتلون في ظل أعداء الإسلام متجاهلين قول الله تعالى :

« إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون . . . »

إذن فلا بد من أن يجتمع المسلمون ولا يختلفوا ، وأن تكون منهم أمة واحدة تحقيقا لقول الله تعالى « وإن هذه أمتكم أمة واحدة . . »

ولا نقصد بأن تكون أمة واحدة أو تحكنا أمة واحدة ، فإن ذلك لا يمكن أن يتحقق .. ولكن يمكن أن يتحقق مناجم واحد ، أو جماعة إسلامية واحدة .. على ما سنشير إلى ذلك في موضعه .

وإن الأمة الإسلامية تقوم الروابط فيها على وحدة الدين والعقيدة . ووحدة المبادئ الخلقية ، والعبادات ، وفي كل يوم يمر يشهر المؤمن بالوحدة الإسلامية إن أدى العبادات اليومية على وجهها ، فتلك الوحدة في قلبه أثناء الليل والنهار بالصلوات الخمس ، إذ يؤديها المسلمون جميعا إلى قبلة واحدة ، فإذا تصور المسلم أداء الصلاة أنه واحد من ألوف الألوف ، يتجهون إلى مثل اتجاهه ، ويولون وجوههم شطر بيت الله الحرام ، غم أن تكون مثابهم ، وأن تكون جماعاتهم ، إنه عندئذ يدرك أنه لبنة في بناء مجتمع كبير يضم أقطارا من الشرق والغرب . ويقوم على الفضيلة والاتجاه إلى الله تعالى . . . . وإنك لترى ذلك المظهر

السامى فى الصوم ، وتراه فى الحج أوضع إشراقا وأعظم نورا . إن أدركت القلوب معنى العبادة .

وإن قيام الاجتماع الإسلامى على مبادئ الفضيلة والأخلاق ، هو أمثل الطرق لتكوين الجماعات الدولية ، ولا يعد الاجتماع العنصرى أو الاقتصادى أمثل المجتمعات لتكوين الأمم ، وذلك لأن الجماعة الواحدة لا تتكون منها أمة إلا إذا اتحدت المشاعر والأهواء والمنازع النفسية ، ولا تتكون هذه المشاعر تحت سلطان تبادل المنافع فقط ، وذلك لأن تبادل المنافع يكون عند قيامها ويزول عند زوالها . ولا تتحد النفوس فى هذا الظل العارض الذى يتغير بتغير الأحوال والأزمان ، ولم يعرف أن الأمة تكونت من مجرى التبادل الاقتصادى أو الاشتراك فى المنفعة المادية . ولأنه بالموازنة بين تكوين الأمم بالعنصرية وتكوينها بالدين ، يتبين أن السير بالإنسانية فى مدارج الرقى ، وقيام العلاقات البشرية على أسس من المودة والفضيلة ، إنما يكون تحت ظل الدين — لا ظل العنصرية — لأن العنصرية تفرض دائما تفضيل عنصر على عنصر ، وهى شكل من أشكال التجمع الحيوانى ، إذ تجتمع فضيلة من الفضائل لتقاتل أخرى .. وتحتاز مكانها تقسيم فيه تغالب الآخرين ، فليس التجمع الإنسانى على أساس العنصرية إلا بقية من بقايا الحيوانية المتأخرة فى الإنسان . ولنا لرى ذلك واضحا فى الأمم التى تعامل الشعوب على أساس ألوانها ، وليست فكرة الأمم الملونة والأمم البيضاء إلا صورة لتحكم العنصرية ، وبقية من بقايا الحيوانية المتأخرة ، بل هى أنخص ظواهرها . . . ١

أما الاجتماع باسم الإسلام فهو اجتماع لا يقوم على المغالبة ، بل على الأخوة العامة والمودة الراحمة التي يحث عليها ذلك الدين القويم ، فهذا الاجتماع الإسلامى يكون أمة تتحد فيها المشاعر نحو الفضيلة ، والمثل العليا التى تنزع بالروح الإنسانى نحو الملوكوت الأعلى ، ويخضع فيها الإنسان لخالق الأكو ان وحده ، وعندئذ يعلو ابن الإنسان عن المغالبة إلا إذا اعتدى عليه ، فعندئذ يؤذن له فى القتال لدفع الفساد وإقامة مصالح العباد :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . . . »  
« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . . . »

ولأنه فى الوحدة التى يكون أساسها الدين الإسلامى تكون العدالة الحقيقية التى لا تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، وإنما التفرقة فى توزيع العدالة تكون فى العنصرية ، وإن فى أمريكا لعبرة لأولى الأبصار ، فبينما نجد الحريات للبعض مكفولة — والرق قد ألغى — نجد ظلما يقع على السود لا يقل عن ظلم الجاهلية الأولى ، وما دون من حقوق لهم إنما هو خطوط مسطورة على قراطيس ، ليس لها فى العمل مظهر يثبت وجودها ، والعلو فى المجتمعات التى تقود على أساس فعل الخير والتقوى لأعلى أساس نيل الدم ، وتقوم على أساس احترام الكرامة الإنسانية التى هى حق مشترك لكل إنسان — لا على أساس كرامة السلالة ..  
وإن قيام الجماعات على أسس دينية يترتب عليه أن يقل التناحر بين أهل الأرض إذا أخذوا بمبادئ الأديان السليمة .

وإن كان التاريخ يحكى تناحرا بين الناس باسم الأديان فليس ذلك ناشئا عن الدين نفسه ، إنما هو ضلال الفهم ، فقد يتحول الدين في نفوس بعض الذين لا يدركون حقائقه إلى معنى يشبه الجنسية أو العنصرية ، وفي هذه الحال لا يكون التناحر منبعثا من ذات الدين ولا من مبادئه ، بل من العنصرية التي لبست لبوس الدين ، والدين منها براء . وقد يكون التناحر من خطأ الفهم للحقائق الدينية فيتحول في نفوس المنتحلين له إلى عصبية النسب ، ويختص في النفس معنى الخير وسمو الفضيلة ، وليس هذا هو اجتماع أهل الإسلام ، إنما اجتماع أهل الاسلام الذي نطبع فيه القرآن ، هو الخاضع لمبدأ من مبادئ الإسلام نفسه :

«تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .»

هذه حقائق مقررة تشير إلى معنى الاجتماع في الاسلام في جامعة إسلامية ، وإنه لا عصبية فيها ولا عنصرية ولا جنسية ولا إقليمية .

ولكن على أى شكل تكون الوحدة الجامعة اليوم ؟ ..

أ تكون على الشكل الأول في صدر الإسلام ؟ ..

أم تكون على شكل جديد يلائم روح العصر مع تحقق معنى الوحدة على أكمل وجه ؟ ..

على أننا إن تأثرنا بروح العصر ففي شكل الوحدة لا في جوهرها ، فلسنا بمن يخضعون أحكام الإسلام لروح العصر ، ولكن الاسلام أمرنا بالقيام بحقائق مقررة ، وترك لنا أساليب تحقيقها ،

فنجتهد في تعرف أنجمعها وأقربها توصيلا لهذه الحقائق ، فمن روح العصر  
نستمد الطريق الموصل ، وما يمكن أن يكون عليه شكل الوحدة ، ولا  
نسوغ لأحد كائنا من كان أن يتحكم في أى حقيقة شرعية باسم روح  
العصر ، فحقائق الإسلام ثابتة مستقرة . ولا تقبل التغيير ولا التبديل ..  
ويجب أن نعلم علما يقينا كما أشرنا ..

أن الوحدة التي نبتغيها لا تمس سلطان ذى سلطان يقوم بالحق  
والعدل في المسلمين ، ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية ، فلكل  
إقليم أسلوب حكمه ما دام يؤدي إلى إقامة الحق والعدل فيه ، ويتحقق  
المعاني الإسلامية السامية ، وإنما معنى الجامعة الإسلامية أن نعتبر  
أنفسنا مهما تآدت الديار مرتبطة بروابط وثيقة تمتد جذورها في أعماق  
أنفسنا ، وهى أحكام الإسلام وشعائره ، وعبادته وعقائده ، إذ هو  
دين الوحدة الجامعة الشاملة ، كما هو دين التوحيد الخالص من كل شرك  
أيا كان نوعه .. وأيا كان مظهره .

ويتحقق معنى الوحدة في ثلاثة أمور جاممة :

أولها — أن تتحد مشاعرنا جميعا في الإحساس بأننا أخوة بحكم  
الإسلام ، وأن الأخوة الإسلامية فوق الجنسية والعنصرية ، وأن  
نذكر أن أول حكم تكليفي نفذه النبي - صلوات الله عليه — بعد الهجرة ،  
هو الأخوة الإسلامية في نظام الإخاء الذي قام به ، فقد آخى بين  
المهاجرين والأنصار ، وآخى بين الأنصار بعضهم مع بعض ، وآخى  
بين المهاجرين بعضهم مع بعض ، وذلك ليشعر الجميع بأن الأخوة

الإسلامية هي التي تجمع ، وغيرها يفرق ، وأن أسباب هذه الآخرة قائمة ، والعقائد والتكليفات وحدها كافية لذلك . ولقد قال السيد جمال الدين الأفغاني باعث النهضة الإسلامية في العصور الحديثة : أما وعزة الحق وسر العدل ، لو ترك المسلمون أنفسهم بما هم عليه من عقائد مع رعاية العلماء العاملين منهم ، لتعارفت أرواحهم وانتلفت آحاديثهم . . .

ولكن والأسفاه . . تخللهم المفسدون الذين يرون كل السعادة في لقب .. لا أمر فيه ولا نهي ..

هؤلاء هم الذين حولوا أوجه المسلمين عن ولاهم ، وخرجوا على ملوكهم حتى تناكرت الوجوه وتباينت الرغائب . . .

الأمر الثاني — وحدة ثقافية وانغوية واجتماعية تجمع بين المشاعر والاحاسيس ، حتى يقرأ كل مسلم ما يقرأه الآخر ، ويحارب كل ما فيه هدم للإسلام ، ويتفق على ما فيه رفع له ، وإعزاز للمسلمين . وأن يكون المجتمع الإسلامي قائما على مبادئ الإسلام الصحيح .

الأمر الثالث — ألا يكون من إقليم إسلامي حرب على إقليم آخر ، أياما كانت أساليب هذه الحرب ، سواء أكانت بالاقتصاد أو كانت بالسيف ، فهي في كلا شكلها توهمين اقوى الاسلام ، وإضعاف لشأنه . وقد أمرنا الإسلام — على لسان القرآن ، بأن نصالح بين المسلمين إن تنازعت منهم طائفتان . وأمرنا بأن يكون كل مسلم في حاجة أخيه المسلم :  
والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله . .

والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه . . .

. . .

## إسلام مفترى عليه

إن الوحدة الإسلامية هي الغاية التي يجب أن يطلبها كل مؤمن ، ومن لم يؤمن بأن المؤمنين أمة واحدة فقد عاند نصوص القرآن ، وخالف حكمته وجانب دعوته ، ودخل في ضمن من يشاقون الله ورسوله والمؤمنين .

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما نولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً . . . ! »

وإذا كنا قد تفرقنا في الماضي ، فعلينا أن نتدارك أمرنا في الحاضر ، وإذا كانت العنصرية قد فرقتنا ، فالانضواء تحت لواء القرآن يجمعنا ، وإذا كانت الطائفية التي نبذها الإسلام ونعاهها على اليهود والنصارى من قبل ، قد جعلت تفكيرنا الديني والسياسي لا يعدوها ، فالاتجاه صوب القرآن هو الذي يهديننا للتي هي أقوم ، وهو الذي يجذبنا نحو العزة والرفعة ، ووقه العزة ورسوله وللمؤمنين .

ولئن قصصنا أسباب الافتراق لتتلافها ونبعدها لنجدها في أمور تتعلق بتلك العنصرية الجنسية والأهواء الفكرية ، فإنها هي التي تقطع ما أمر الله تعالى بوصله ، وتفرق ما أوجب جمعه ، وتبدد ما ألزمت بحفظه وصيانته .

ولقد قال النبي صلوات الله عليه :

« اقترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، واقرقت النصارى على

اثنتين وسبعين فرقة ، وسيفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . . .

ولقد قال بعض علماء السنة في هذا الخبر :

« حديث افتراق الأمة إلى سبعين فرقة رواياته كثيرة ، يشد بعضها بعضاً بحيث لا تبقى ريبة في حاصل معناه . . »

وسواء كان العدد قد قصد به الكثرة غير المحدودة . أم أنه يدل على الإحصاء ، فن المؤكد أن الافتراق قد وقع ، ولم يكن خلافاً مجرداً في النظر ، بل صار افتراقاً في النزاع والفكر والإحساس والشعور ، وقد أدى كل هذا إلى شقاق ، حتى لقد صار المسلم ينظر إلى المسلم الذي يفارقه في المنزع الفكري نظرة الخصم المتربص — لا المخاف الذي يتجه كلاهما لطلب الحقيقة في شرع الله تعالى ، وإن انتعصب للفكرة المذهبية قد احتل صاحبها حتى صار يهيمه نصرتها ، بدل أن ينصر لب الدين وأصل اليقين .

ولقد حفظ التاريخ من أثر ذلك في الماضي ما قوض شمل الاسلام وجعل بأس المؤمنين بينهم شديداً ، حتى لقد وجدنا المذاهب تقام بين فرقتين ، لأن كليهما تعتقد أن الأخرى على ضلال ، ولقد حدث والتار غير المسلمين يدقون أسوار بغداد دقا ، ويذبحون المسلمين في طريقهم ، ولا يلبثون على شيء إلا هدموه ، أن كان الخلاف على أحده ، والمذاهب على أشدها بين السنيين والشيعة ، حتى لقد ذكر المؤرخون في ذلك أقوالاً وأقوال ، وما أشبه أولئك بالذين يقاتلون في سبيل فكرة لهم في فهم الدين — ليست من له ولا من حقيقته ، بآب آدم الذي قتل أخاه في سبيل قربان يتقرب به إلى الله تعالى ، كما حكى قصته القرآن ، الكريم :



« و اتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين — لنن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي لملك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين — إني أريد أن تبوء باسمي واسمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين — فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين — فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ، قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي ، فأصبح من النادمين ،

وإذا كان التشبيه غير كامل .. فلأنه لم يوجد في المتنازعين من لم يبسط لسانه في شأن أخيه ، ولم يرسل الله إلينا مثل هذا الغراب ليجعلنا نشعر بالندامة على الفرقة ، والايمان بأن السلامة في الاجتماع .

لقد كنا في الماضي نختلف بدوافع العنصرية ، أو بدوافع المنازع الفكرية ، أو بدوافع من الرواسب التي خلقتها القرون الماضية السابقة على الاسلام .

أما الآن فإننا نختلف ، لأن الذين يريدوننا مختلفين يبعثون فينا أسباب الخلاف ، ولأننا نتخذ من غيرنا ولاية يتولاها ، ونهرة نبتغيها وهذا هو القرآن الكريم ينادينا بصوت الخلود القوي :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون — ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم

وتمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور-  
إن تمسككم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا وتقفوا لا يضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط .

هذه إشاراتى إلى حقائق ثابتة كنا نقرأ عنها ، ولكن فى رحلتنا إلى باكستان فى الندوة الإسلامية العالمية التى دعت إليها جامعة بنجاب،  
والتي انعقدت فى لاهور ، رأينا رأى العين ما كنا نتخيله ولا نحاله فى هذه الأيام حقيقة واقعة ، رأينا فى أهل باكستان تقوى وصبرا وإيمانا واحتراسا بالله فى كل شيء . رأيناهم دعاة إلى الإسلام فى كل البقاع والأصقاع ، ورأينا فيهم شيوخا يستقى بهم عند الجذب ، ورأينا قلوبا تشرق بنور الحق ، وأولئك هم الكثرة الكاثرة . ولكن وجدنا مع هؤلاء قلة قد تمكن لها بأسباب تتصل بالماضى تتكلم باسم الإسلام ، وتوهم الناس أنها تعلن حقائقه ، وما هى من الإسلام فى شيء ، وإن لم نلقوا لاغربية وأفكارا عجيبة وأهواء لا تتسع لحق ، لقد رأينا منهم من يدعى لنفسه الاجتهاد فى الإسلام ، ويذكر أن آيات المواريث قد انتهت حكمها ، وإذا قيل له : إن للاجتهاد شروطا أدناها أن يعرف المجتهد العربية وينطقها . . . سخر من القائل واستهزأ به . . . والله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . . ! ومنهم من يقول : إن القرآن وحده هو الحجة والسنة ليست بحجة ، ويندفع وراء غيه ، فيدعى أن الصلاة التى يصليها المسلمون اليوم ليست هى المطلوبة . وهكذا يستهزئ بها لا يعرف . .

ومنهم من ينكر أن القرآن كتاب أحكام ، فليس فيه نظم مقررة

فلاسرة ، ومنهم من يدعى أن الناس جميعا يدخلون الجنة لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، ويقف مباهايا الناس قائلا : حجتي قوله تعالى :

« ورحمى وسعت كل شيء .. ونسى أن عقاب المذنب من الرحمة ، وأن قانون الرحمة لا يقتضى مساواة المسمى بالمذنب ، والعاقل بالظالم ، فهل يستوى الأعمى والبصير ، وهل تستوى الظلمات والنور ، وهل يستوى الذين يعاملون والذين لا يعلمون ، وهل يستوى العامل والحامل ؟ إن الرحمة لا تسمح بهذه المساواة .. فكيف تكون من الرحمة وهى تناقضها . ؟

إن أولئك المنحرفين هم الذين يفرقون الجماعات الاسلامية ، فحينما حلت أرضاً اسلامية ، شعرت أنك بين أهلك وذويك ، حتى إننا لنحس بصلة الأخوة والألسنة تصعب التفاهم بيننا ، ولكن الأرواح تتفاهم ، وحواجز اللغة — إن منعت لحفظ القرآن والحديث النبوى يجمع ويقرب . بل يوحده ، وبينما يحس المؤمن باللقاء الروحى مع أخيه المؤمن ، نجد أولئك الذين أشربوا حب الفرنجة وتقليدهم قد باعدوا . وتحس وأنت تخاطب أحدهم - ولو كان يعرف العربية كأن هوة ساحقة تحاجز بينك وبينه - فلا تلتقيان . ولقد كان ضعف إيمان هؤلاء وقوة اقتناعهم بالاتصال بغير المسلمين ، وحسبانهم أن ذلك هو التقدم ، وأنه مسارة العمران ، وأنه النجاة فى صحراء الحياة ، وأنه المعبر إلى العزة — سبياً فى أنهم لم يتطلعوا إلى الرابطة التى تربطهم بأهل القبلة .

إن الإسلام دعا إلى الأخوة الاسلامية العامة فى مثل قوله تعالى :  
« إنما المؤمنون إخوة ، ومثل قول الرسول — صلوات الله عليه :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله .. » ، إلى آخر ما روى من أحاديث وما يتلى من آيات .. إن هؤلاء وأشباههم هم الذين يقفون في سبيل الوحدة ، وهم في كل بلد إسلامي ؛ وإن كان ظهورهم على أشكال وألوان مختلفة ، فلهم طابع واحد مشترك ، أو فكر واحد مبدع ، أو أمر واحد جامع ، ذلك أنهم يتبعون سياسة غير المسلمين وهي سياسة مفرقة غير جامعة لا تريد المسلمين قوة في الأرض دافعة أو مانعة ، ولا أمة واحدة جامعة ، بل يريدونهم أوزاعا وأشتاتا متفرقين ، لكي لا يكونوا قوة الإسلام ، بل ليكونوا قوة لهم ..

ولا شك أن أول طرائق الوحدة ألا يقف هؤلاء محاجزين ، وألا تكون في أيديهم مقاليد الحكم ، ولكن قد يكون من وراء ذلك فتنة في الأرض أو فساد كبير ، والفتنة دائما غير مأمونة الدواقب ، فقد تؤدي إلى غير الغاية ، وقد تعكس الأمر في النهاية ، ولذلك ندع أمرهم ونتجه إلى شعوبهم ، وهم في مغالبة فكرية معهم ؛ وكل يحارب الآخر فكريا بما في يده من قوة ، فعلماء الإسلام ومن ورائهم الكثيرة من العامة يحاجونهم بالقرآن وآياته البينات ، وأولئك يحاجونهم بعلم الغرب وما فيه من إنكار للحقائق الإسلامية ، وإذا أحل بهم الدليل ، وسقطت من أيديهم الحجة ، قالوا : ليس في الإسلام رجال دين — ليدعوا لأنفسهم علم ما لم يعلموا ، وصدق ما يؤولون ، وايزيلوا من أمامهم من يقف في وجوههم ، وكتاب الله في إحدى يديه ، وفي الأخرى سنة رسول الله صلوات الله عليه - ولا نريد أن نطرق هذه الدعوة من غير أن نقف وقفة قصيرة عندها ، فقد سمعناها في مؤتمر - لاهور - من الحاضرين الذين كانوا يمثلون ذلك التفكير ، ونقلوها

عن إمامهم المنيع — محمد إقبال — وفي الحق إن كلمة دليس في الإسلام رجال دين، كلمة حق يراد بها باطل، نعم ليس في الإسلام رجال كهنوت، أقوالهم حجة من غير سند من النصوص، ولا دليل مستمد من الوحي النبوي، والهدى المحمدي، وليس في الإسلام وساطة بين العبد والرب، وإن الدعاء يتجه الى الله تعالى من غير طريق أحد من البشر :

« وإذا سألك عبادي عنى فأني قريب ، أجب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . »

وليس في الإسلام توبة إلا لله تعالى الذى يغفر الذنوب وحده ، فلا يملك أحد من الناس غفرانها ، فهو وحده يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولم يكن ذلك للرسول ولا لغيره من دونه ، الذين لم يصلوا الى منازل الرسالة أو الى قريب منها .

هذا كله حق ، ولكن الباطل الذى يريده الذين يرددونها . أنه ليس في الاسلام علماء قد تخصصوا في فقه الدين بلغوا رتبة الاستنباط فيه ، ومعرفة ما يخفى على العامة من أحكام لا تعرف إلا بالعلم بدقائق اللغة ، والعلم بالسنة وفقه الصحابة وأوجه الاستنباط المختلفة ، والعلم بالناسخ والمنسوخ ، وما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا فيه ، وأوجه الاختلاف . لقد أنكر أولئك الذين يشككون في الحقائق الاسلامية ويدخلون في الدين ما ليس منه ، وجود علماء على هذه الشاكلة لكيلا يقف أحد في سبيلهم كما نوهنا ، وذلك الإنكار مناف للحقائق التاريخية والنصوص الدينية ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

« فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .. »

ولقد دعا النبي صلوات الله عليه لابن عباس . . أن يفقهه في الدين ،  
ولقد قال أيضاً :

« نضر الله عبداً سمع مقالتنا فوعاها ونقلها كما وعّاها ، فرب حامل فقه لا فقه له . . ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .. »

فقد فرض عليه الصلاة والسلام أن الناس منهم الفقيه ومنهم من ليس بالفقيه ، والفقيه فيهم مراتب ، والناس في عهد الصحابة والتابعين من بعدهم كان منهم المستفتى ومنهم المفتى ، ومنهم الفقيه المستنبط والعامي المتبع ، ولقد قسم الشافعي العلم الى قسمين : علم عامة ، وهو أصول الدين وما علم منه بالضرورة ، وعلم خاصة وهو علم الاستنباط والاجتهاد وتعرف الأحكام من النصوص والبناء عليه ، وأيس علم الاسلام بدعا في ذلك . فالقوانين الوضعية لا يعلم دقائقها الناس جميعا ، بل فيهم المتخصص المتعمق فيها ، وفيهم المدرك لها الفاهم لأصولها ، وفيهم من هو دون ذلك .

وإن الوحدة الحقيقية بلا شك هي الوحدة النفسية والفكرية ، والإحساس بالجامعة العامة التي تجددنا كما أشرنا - وهذه هي الوحدة : فوجب أن يعرف المسلمون بعضهم بعضا ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما جاء في كتاب الله تعالى :  
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير . »

فإنه أولى بالتعارف أهل القبلة وهم يدينون بدين الوحدانية ودين الوحدة ، ودين الاجتماع ، وهم أمة واحدة بحكم القرآن ، ولقد آخى النبي صلوات الله عليه — بين سلمان الفارسي وبعض العرب ، وبين بلال الحبشي وعربي ، ليسين أن الأخوة الإسلامية فوق الأخوة الجنسية والاجتماع الإقليمية .

لقد كان المسلمون في الصدر الأول أمة واحدة في الواقع كما كانوا أمة واحدة بحكم الشرع وبحكم القرآن ، وهدى النبي القائل : ليس منا من دعا إلى عصبية .. وبين أن من دعا إلى عصبية إقليمية أو جنسية أو نسبية فإنما يكب وجهه في النار ، وقد تفاخر قوم أمام سلمان الفارسي بأنسابهم وهو صامت لا يتكلم حتى حركوه بالسؤال ، وقالوا له ابن من أنت ؟ فقال : أنا ابن الإسلام ، فجمجموا وما تكلموا لأنه بين النسب الذي يجب أن يتلاقى عنده أهل الإيمان ، فبلغت الكلمة الحكيمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فبكى من فرط تأثره بصدقها وقال :  
و أنا ابن الاسلام .. وكررها ثلاثا ..

إن عقد المسلمين لم ينتثر إلا من وقت أن تحركت الشعوبية ، وأراد كل شعب أن يحى أرومته ، ويعلى قوميته ، وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، وأخذت تلك الحركات تنمو وتوسع وتزيد حتى قامت اللغات القديمة ، وتكونت الدول الإسلامية المختلفة ، وصار الارتباط بالخلافة الإسلامية الجامعة واهيا ضعيفا ، واسميا — لاحيقا ، وتفرق أمر المسلمين ، وأخذت تلك الدول تحارب بعضها بعضا ، وأصبح الملوكية ودون شعوبهم إلى الحرب — لافى لقاء الأعداء ، ولكن في حرب الأخوة من أهل الاسلام ، ولم يجد الصليديون في القرن السادس

الهجرى من يقاومهم فانقضوا على الأرض واقتطعوها ، ولم تقف في وجههم إلا آخر الدولة السلجوقية ، ثم تولى من بعدهم صلاح الدين الأيوبي وجمع شمل البلاد الإسلامية المتقاربة . .

ولم تلبث الدولة التي جمعها أن تفرقت ، وتقطعت أوصالها حتى انقض التتار كالصخرة من أعلى الصين إلى البلاد الإسلامية ، فجمعت البلاد العربية الإسلامية المتقاربة وردتهم ، وخضت شوكتهم ، وهكذا استمر التاريخ في سيره نحو التفريق ، والاجتماع الغسبي عند الشدة — مع أن ديننا يحتم اتحادنا دائماً .

إن أول أسباب الاجتماع إزالة أسباب الافتراق ، بعد العهد به ، وماجد في عهدنا ، ففي الماضي كانت حوزات الملوك هي التي تفرق الوحدة ، وفي الحاضر يفرق الوحدة هذه الحوزات إلى حذما ، وتلك الآراء المنحرفة التي يلقننا إياها الغربيون ، واتبعها بعضنا ، وأكد التفريق في الحاضر جهل كل شعب إسلامي حال غيظه من الشعوب الإسلامية . ولذا نرى أن خطوات الوحدة من الناحية العملية تنحصر في أمور ثلاثة :

أولها — التوحيد الفكري والنفسي بين الشعوب الإسلامية في ظل هيئة علمية تجمع الفكر الإسلامي ، وتقف على دراسة ماضيه ، وتعنى بتعرف الأحكام الشرعية لما يجد في شئون الحياة ، والقرب ما بين الطوائف الإسلامية جميعها .

وثانيها — العمل على منع النزاع بين الأقاليم الإسلامية

وثالثها — أن يعرف المسلمون أنفسهم ، وذلك بلغة جامعة بينهم ، هي لغة القرآن والسنة ، وهي العربية ، فإن إحياءها لإحياء للوحدة . .



الطريق إلى الوحدة

## في مجال الثقافة والفكر

الوحدة الإسلامية — كما ذكرت — تؤلفها عناصر ثلاثة لا بد منها . . . لتحقيق في أقل صورها .

التوحيد الفكري والثقافي والنفسي . . .

إقامة أخوة دولية . . . لا تنازع فيها .

إيجاد أسباب التعارف والتآلف بينهم . . .

إن التوحيد الفكري والثقافي والنفسي لا يحتاج إلى إنشاء ، ولكن يحتاج إلى توجيه وجمع ، فإن الأصل قائم ثابت ، وحيثما اتجهت إلى بلد إسلامي ، فإنك تحس بأن الاتفاق النفسي والفكري موجود ، وتجذ الفكرة الجامعة قائمة ، والأمر الجامع لأساليب الفكر الإسلامي ثابتا ، ولا يوجد بين أهل دين أو أهل مذهب اقتصادي أو اجتماعي ، من تتلاقى أفكارهم حول اتجاه معين لا يحول ولا يزول كما تجد ما بين المسلمين ، ولقد قدر لي في الندوة الإسلامية الكبرى التي عقدت — بلأهور — أن ألتقي بالوفود التي نزلت من البلاد الإسلامية على اختلاف الطوائف فيها ، فما وجدت ثغرة فكرية بيني وبينهم ، لا فرق في ذلك بين سني وشيعي ، ولا بين صيني وروسي وتركي ، وإذا كانت ثغرة بيننا وبين أحد ، فما كانت إلا بيننا وبين زنادقة هذا العصر الذين يتسمون بأسماء إسلامية ، كهذا الذي ينكر أحكام آيات المواريث ، ويدعي أنها وقتية ، أو كهذا الذي ينكر النبوة ، وغيرهم ممن نبذ المسلمون كلا مهم في المؤتمر ، كله ينبذ الشواذ في صحراء الجاهلية . . .

وإن السبب في ذلك الاتحاد الفكري الذي لا يحتاج إلا إلى جمع وتوجيه وتنظيم ، هو وحدة المصدر والاتفاق عليه ، والاتفاق حوله ، فقد اتفق المسلمون جميعا على أن الاسلام له مصدر واحد هو نصوصه المحكمة ، وهي نصوص القرآن التي لا تقبل تغييرا ولا تبديلا : لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. وأقوال النبي — صلوات الله عليه ، وإذا كانت بعض الطوائف مختلفة في طريقة روايتها ، فإن الأصل الذي يقوم عليه عمود الدين ، وفقه الاسلام وأحكامه متفق عليه ، وإذا كانوا ينتهون الى حكم واحد في أصول الاسلام والإقرار بجملة السنة التي تدل على هذه الأصول ، فإن الغاية قد اتحدت ، وأصل الوحدة الثقافية قد ثبت من غير إنكسار ، ومن غير تعاند وتنازع بالأسماء ، وإن كانت أنواع من الجدل قد وقعت وما زالت ، فذلك لا يضير في شيء ، وهو أحيانا من ضيق الفكر لا من اختلاف الثقافة ؛ كما كنا نرى في صدر حياتنا من ملاحاة فكرية بين الشافعية والحنفية ، ومن عمق الفكر أحيانا كما يدجل التاريخ الفقهي من مناظرات ، بين أتباع هذين المذهبين الجليلين ببلاد ما وراء النهر في القرنين الرابع والخامس ، تلك المناظرات التي كانت محمودة العاقبة منتجة مثمرة ، لأنه قد ترتب عليها تأييد الفروع بكلا المذهبين بالأقيسة العميقة ، وتنقيح الروايات في الأخبار المؤيدة ، وفي هذا المعترك اقتبس كل مذهب من الآخر .

إن هذه حقيقة ثابتة لا مجال للريب فيها ، وهي وجود نواة الوحدة الفكرية والثقافية والنفسية في كل البلاد الاسلامية ، مهما تختلف فيها الطوائف والمذاهب ، ولكن الأمر الذي نريده ، هو توجيه هذه الوجوه

والعمل على إنمائها ، وإيجاد مجتمع فكرى موحد يبنى دعائم الاسلام ،  
ويوقف محازا دون النزعات المنحرفة التى تتغلغل فى صفوفه ، وتلقى  
بالريب فى حقائقه ، ويكشف زيف أوائلك الذين اصطفاهم أعداء  
الاسلام ليحلوا عراه ، ويلقوا بالشك فى أفئدة أهله .

ويزيد مع هذا جمع تراث الماضين ، لا فرق فى ذلك بين التراث  
الذى تركه السابقون من الشيعة ، وبين التراث الذى تركه أئمة الأنصار ذوى  
المذاهب المعروفة وغير المعروفة ، فكل ذلك تراث السابقين ، وثمرات  
غرس الموحدين ، فهو تراثنا جميعا ، لا فرق بين سنى وغير سنى .

وقد يقول قائل : إن فى بعض هذا المأثور ما يتجافى عن بعض المقررات  
الثابتة التى تعد من أصول الاسلام . فنقول : إن إعلانها يقلل بلا شك  
من عدد الذين يرددونها ، بل إن السبيل الوحيدة لمنع الناس من الأخذ  
بها هو كشفها .. وإن على المؤمنين مجتمعين أن يهدوا الضال - لا أن  
يتركوه فى غياهبهم ويخبط ، وإن هؤلاء الذين لم يصطنعهم أجني فيهم  
أصل الإخلاص ثابت ، وهم طلاب للحق قد أخطأوا سبيله ، فعائنا أن  
نهديهم طريق الصواب ، ولقد قال الامام على كرم الله وجهه :

« ليس من طلب الحق فأخطأ .. كمن طلب الباطل فأصابه .. »

ومهم ما يكن فى بعض الآراء من مخالفة للمعقول أو لبغض المنقول ،  
فإنه مما خلفه السابقون ، وهو من التركة التى تقوم عليها ، ولا تهمل  
التركة إذا كان فيها بعض الزيوف ، بل يجب أن نفحصها فحص الصيرفى ،  
ليستبعد زيفها ويهرج ، ويحفظ جيدها وينمى .

ولأننا بهذه الدراسة للتركة المثريّة من غير محاولة للتمييز بين طائفة وطائفة ، نتجه الى أمور ثلاثة :

أولها — وصل ماضى هذه الأمة بحاضرها ، فإن كل حضارة لها إطار من الأفكار والموروثات ، تصل ما بين الحاضر والغابر ، وإن تقدم هذه الأمة دائما يجب أن يكون متصلا بصور تاريخها ، كما قال السيد جمال الدين الأفغان حكيم الاسلام ، وأول داع الى الوحدة الاسلامية فى العصر الأخير ، وباعث الوعى الفكرى فى كل بقاع الاسلام ..

وثانيها — ألا يكون العالم الاسلامى منحازا فى جانب من جوانبه ، لا يحاول أن يتجه الى الجانب الآخر ، ولا أن يتعرف ما فيه ، فتلك عصبية مذهبية ، أو طائفية تلتقى مع العصبية الجاهلية فى نتائجها وثمراتها ، وإن خالفها فى منبعها وأسبابها ، فتلك نكرة جنسية نسبية ، وهذا انحراف فكرى وتعصب مذهبى ..

وثالثها — أن تتقارب الطوائف الاسلامية ، فإن دراسة التراث الاسلامى ككل لا يقبل التجزئة بحيث تدرس كل طائفة ما عند الأخرى — يقرب ما بين الطوائف ، ويزيل تلك الذرة غير الطبيعية التى خلفتها بعض القرون فى ماضى الإسلام ..

ولأننا بهذا يتحقق لنا الغرض المقصود ، وهو محو الطائفية فى الإسلام وتقريب ما بين الطوائف بحيث يكون خلافها مذهبيا ، كالحلاف الذى بين المالكية ، والحنابلة ، ونحن ندرس بعض آراء الإمامية على أساس أنه مذهب كالمذاهب التى ندرسها ، وكذلك ندرس الزيدية .. إن محو الفروق الطائفية ، يجب أن يكون غاية مقصودة ، ذلك

لأن أسباب الخلاف قد زالت ، ومن الخطأ أن تمسك بالاختلاف الطائفي مع زوال أسبابه ، وكيف يكون بيننا تنافر فكري بسبب أن عليا أفضل من أبي بكر وعمر ، أم أنهما أفضل منه ، فتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ومعاذ الله أن يكون من أولئك الأبرار من ارتكب خطيئة أو إثمًا ضد الإسلام ، ولقد سئل الشافعي مرة عن أهل صفين فقال :

«واقعة قد كفاني الله شهودها ، فلباذا لأبرىء لسانى من الخوض في أهلها .» ؟؟

ولأن الخلاف الطائفي الآن يشبه أن يكون نزعة عنصرية ، ولأن الذين يريدون الكيد للإسلام يتخذون من الخلاف بين الطوائف منفذاً ينفذون منه إلى الوحدة الإسلامية ، فيجب أن نسد عليهم هذا المنفذ . ولأن وحدة أهل الإسلام توجب كمال وحدة الشعور ، والطائفية لا يتحقق معها كمال وحدة الشعور ، وقد جربنا في الماضي أن الطائفية مكنت لأعداء الإسلام ، ويجب أن يكون في الماضي عبر للحاضر ، ونور يضيئه .

ولأن الطائفية في الإسلام ليس الأساس فيها مما يتصل بالاعتقاد ، أو في الأصول التي يجتمع عليها أهل القبلة ، بل جلها في مسائل ليست من اللب ، ولو ادعى بعض الطوائف أنها من اللب ، لهذه الاعتبارات نقرر أن الطوائف الإسلامية يجب أن تتفق وتلاق على حجة من الله ورضاء ، وتحت ظل كتاب الله تعالى ، والسنة الصحيحة ، والمقررات الإسلامية التي علقت من الدين بالضرورة ، ولا مانع من أن نختلف ،

ولكن يكون اختلاف آحاد في منازع عليه ، لا تفرع فيها ، ولا يكون  
اختلاف جماعات وطوائف تفرق وتجعل الأمة الإسلامية قطعاً متنازعة  
متدايرة متنافرة . . . ١

ولسنا نقصد بمحو الطائفية نحو المذهبية ، وإدماج المذاهب  
الإسلامية في مذهب واحد ، فإن ذلك لا يصح أن يكون عملاً ذا فائدة ، لأن  
إدماج المذاهب في مذهب واحد ليس عملاً علمياً يحمد عند العلماء ، فإن كل  
كل مذهب مجموعة من المعلومات أقيمت على مناهجه ، تتجه في مجموعها  
إلى النصوص الإسلامية والبناء عليها ، وهو ثمرات جهود لأكابر العلماء  
في هذا المذهب ، وكل إدماج فيه إفناء ، وليس من المصلحة العلمية  
في شيء ، إفناء تلك الجهود الفكرية التي قامت في ظل القرآن والسنة  
الصحيحة الثابتة ، يجب أن تكون كل الجهود قائمة على أصولها ، ويرجع  
إليها ، ويختار منها عند العمل أصلها للبقاء وأكثرها لملاءمة مع  
الأزمان ، أو أقواها اتصالاً بالقرآن ، مع بقاء المصدر في موضعه  
يرجع إليه .

وفوق ذلك فإن المذاهب الإسلامية تراث علمي هو للجميع  
لا لطائفة من الطوائف ، ومن المصلحة العلمية الاستحفاظ عليه ،  
وبقاؤه تراثاً خالداً ، وإن الأمم الأوروبية على اختلاف قوانينها تدرس  
القانون الروماني والمذاهب القديمة في الشرائع ، لأنها ثقافة لا بد منها ،  
فكيف ننكر في إفناء جزء من ثقافتنا العالية التي أثرت في القرون  
الماضية ، وحملت معها صور التفكير في تلك القرون . ؟

هذا - وإن إدماج المذاهب بعضها في بعض - فوق أنه لا يصح أن يكون

غاية — هو أمر لا ينال ، إذ أن أساس الإدماج هو الاتفاق على مذهب واحد ، وإن الاتفاق في الفروع الفقهية كلها على رأى واحد أمر غير ممكن ، بل هو من قبيل المستحيل ، فإننا إذا خلصنا الفقهاء من التعصب المذهبي — وذلك شرط أساسى وهو بعيد الوقوع — لا يمكن أن نقرر اتفاق منازعهم الفكرية وبيئاتهم الاجتماعية . .

وهنا يثور اعتراض يبدو بادى الرأى وجيها ، وهو كيف يمكن محو الطائفية وبقاء المذاهب التى تحملها هذه الطوائف . .

ونحن فى الجواب عن ذلك نقول :

إن المذهب ايس ملازما للطائفة لا يتصور من غير وجودها ، فإن الطائفة جماعة تتجمع حول مذهب تقننه وتدعو إليه ، وتعتبر كل جماعة لا تعتقه ليست منها ، أما المذهب فهو مجموعة عليية تبقى حافظة كيائها ثابتة ، لأنها تراث فكرى ، وهو بطبيعته أمر معنوى منفصل عن الجماعة التى تعتقه ، فإذا دعونا إلى محو الطائفية فعنى ذلك ألا تكون تلك الجماعة التى تتميز فى موضع من الأرض بعنوان طائفى ، وتعتبر نفسها موجوداً منفصلاً عن غيره من المسلمين ، بما انتحلت وما تتجه إليه ، والمذهب باق يعتنقه من يشاء ويتمذهب به من يريد ، يختاره كله مذهباً له ، أو يختار بعضاً منه ، وإن ذلك ينمى المذهب ويحييه ، فإن انخيازه فى طائفة معينة قد يكون حججاً بآ يمنع غيرها من أن يدرك ما فى هذا المذهب من آراء صالحة ذات فائدة خاصة ؛ أو ذات دليل أقوى ، أو أقرب لملازمة للناس من غير مخالفة للنصوص ، ولا إهمال لها ، ولا مخالفة للمقررات الشرعية الثابتة ، التى لا يصلح لعالم أن يخالفها .



ولأنه من الحق علينا في هذا المقام ، أن نقرر أن مصر منذ نحو ثلاثين سنة ، قد أخذت في الأحوال الشخصية من المذاهب الإسلامية المختلفة ، وقد تحللت من التقيد بمذهب أبي حنيفة ، بل أخذت من مذاهب الطوائف مجتازة كل الحجز ، غير ملتزمة للمنزع الطائفي .

فقد أخذت أحكام الطلاق المعلق ، والطلاق المقترن بالعدد لفظاً أو إشارة وكونه لم يقع إلا واحدة أخذ هذا من الإمامية أى من مذهب الإمام جعفر الصادق ، نعم لأنها صرحت بأنها قد أخذت من فتاوى ابن تيمية وآرائه . ولكن ابن تيمية صرح بأنه أخذ ذلك من مذهب آل البيت وأخذت مصر بتأخير ميراث ولاء العتاقة عن ميراث الأfarب جميعاً ، والزوجين ، من مذهب الجعفرية وهو ما يسمى ولاء النعمة ، وأخذت إجازة الوصية لوارث . من مذهب جعفر الصادق أيضاً وأخذت مبدأ الوصية الواجبة من الظاهرية كما دونها الإمام ابن حزم الأندلسي .

## نحو مجمع علمي إسلامي :

إن المسلمين لأجل توحيد الثقافة الإسلامية وتوجيهها — يحتاجون إلى جماعة تعمل على تنظيمها وتنميتها وتهذيبها والأخذ منها بالصالح لهذه الحياة من كل مذهب ، مادام لا يخالف أصلاً قطعياً أو ظنياً من أصول الإسلام الثابتة ، وإن هذه الجماعة تتألف من كل الأقاليم الإسلامية ، بل نقول .. تمثل المذاهب الإسلامية بدل كونها تمثل الطوائف . ولنبادر من الآن بمحو كلمة الطوائف من قاموس تلك الوحدة المقدسة ، لأنها

بقية من بقايا التفريق ، وإن هذه الجماعة التي تمثل المسلمين تكون أشبه  
بمجمع على إسلامي - يسهل دراسة المذاهب كلها ، ويعمل على نشر الإسلام  
بين غير المسلمين .. بكتابة البحوث التي تبين حقائق الإسلام ، وترجمتها إلى  
اللغات الحية ، وثقيف المسلمين الذين يعيشون في أطراف الأرض ،  
وتعريفهم بأحكام الإسلام ، فإن بعض المسلمين الذين يسكنون في  
أطراف أندونيسيا لا يعرفون أحكام الزواج في الإسلام . حتى إن  
لأحدهم تزوج البوذي ، وهي لا تعلم أنه حرام عليها ..  
ويتزوج الرجل الوثنية . وهو لا يعلم تحريمها عليه ..

إن من حق هؤلاء على علماء المسلمين أن يعلموهم ، ونحن جميعا  
مسئولون عن جهلهم ، وهم دوننا في هذه المسؤولية ، وإن تلك الجماعة  
تدرس المسائل الدينية كلها وتصدر في كل مسألة رأيا جماعيا ويتكون من  
الكثرة ، وحكمها ماض ، حتى يجد ما يوجب تغييره ، كما تدرس الجماعة  
النظم الاقتصادية التي تسود العصر الحاضر ، وتبين حكم الإسلام من غير  
تحريف ، فإن لم يجد الإسلام بها بأسا أقرها وإلا كلف الاقتصاديين وأهل  
الذكر في علوم الدنيا ، أن يقيموا نظاما يتفق مع الحقائق الإسلامية  
المقررة . وإن هذه الجماعة تختار مكانا تتخذة مستقرا لها ، وتعتقد فيه  
كل عام عدة مرات ، وتكون لها لجان فنية مختلفة ، ومكاتب تتبعها في  
كل بلد إسلامي مشهور ، وبذلك تكون حلقة الاتصال والتعارف بين  
الأقاليم الإسلامية في بقاع العالم بأسره ..

## تعارف . . وتآلف

لا جدال في وجوب التوحيد الثقافي والنفسي ، وإذ إنه لن توجد لنا وحدة إسلامية إلا إذا كان قوامها التوحيد الثقافي ، وإذ إنه لا بد من أن يجتمع علماء المذاهب في صعيد واحد — لا ليتجادلوا في أي المذاهب أقرب رحما بالشرع ، بل لتتلاقى أفكارهم في تثقيف المسلمين ، والدفاع عن الإسلام وتوحيد كلمة أهله ، والعمل على نشره ، وتعريفه لمن يحملونه ، ذلك هو مقصد الاجتماع في جماعة العلماء .

وإذ لا بد لنشر الثقافة الإسلامية وتوجيهها نحو التوحيد من تحقيق أمرين :

أولها — إنشاء معاهد جماعة في دراستها للمذاهب الإسلامية كلها ، وفي العواصم الكبرى من بلاد الإسلام ، وتكون إدارتها تحت ظل جماعة العلماء التي أشرنا بتكوينها من المذاهب والبلاد الإسلامية ، وتكون العاصمة التي يبتدأ بتكوين المعهد الجامع فيها ، هي العاصمة التي اختارتها الجماعة مستقرا لها ومقاما ، ثم يتفرع من المعهد الجامع معاهد أخرى .  
تعني بنشر هذه الدراسات وتوسيع آفاقها .

الأمر الثاني — العناية بالتعارف الإسلامي ؛ وأن هذا هو العنصر الثالث من عناصر بناء الوحدة الإسلامية ولكنا قدمناه ، لأنه على نسق للتوجيه النفسي والثقافي الموحد ، وأخرنا العنصر الثاني وجعلناه الأخير .  
وإن تنظيم التعارف الإسلامي أمر لا بد منه لتكوين الوحدة ، وقد

دعا إليه الاسلام كأصل من أصوله .

ولقد علم الذين لا يريدون بالاسلام الاخبالا قوة التعارف الإسلامى ،  
فعملوا على تجهيل المسلمين بعضهم ببعض ، فكانت المدارس فى البلاد التى  
اُبتليت بسيطرة الأجنبي تدرس تاريخ أوربا وأمريكا بتفصيل ، من  
عصورها المظلمة إلى عصر نهضتها المادية ، إلى عصرها الحاضر ، فى تفصيل  
دقيق عميق ، وتدرس فيها جغرافية أوربا وأمريكا ، وتقسيماها السياسية ، إنهم  
بهذا يعلموننا طريق القوة فىنا ، ولكنهم يعملون على إخفائها ، ويحولون  
توجيهها إلى غير سبيلها ، وسبيلها هى سبيل المؤمنين ، ومنهاج الموحدين .

ولأنه فى سبيل ذلك التعارف الإسلامى ، يجب أن تشتمل المدارس فى  
البلاد الإسلامية كلها على دراسة جغرافية لكل إقليم إسلامى : ينابيع  
ثروته ، وطبيعة أرضه ، وما فيها من خيرات تكتنزها ، وأن يدرس  
تاريخ كل إقليم فى جاهليته وإسلامه تدریسا شاملا ، ولأنه لمن العار أن  
يسأل المسلم المثقف عن أحوال الباكستان أو إيران فلا يحير جواباً ،  
ولا ينطق صواباً ، وأن يجهل المسلم أماكن أهل الإسلام فى مشارق  
الأرض ومغاربها .. ولا يكتفى فى هذا التعريف بالدراسة فى المدارس ،  
بل يجب أن تكتب الرسائل فى أحوال الأقاليم الإسلامية واقتصادياتها .

ولأنه فى سبيل ذلك التعارف يجب تنظيم الرحلات إلى الديار الإسلامية ،  
والإتصال بأهلها ، وتدوين نتائج هذه الرحلات ، فليس الخبر كالمیان ،  
ولأن هذه الرحلات المختلفة مع تسهيلاتهما وتيسيقهما ، هى السبيل للألفة  
الاجتماعية بين الشعوب الإسلامية ، وهى السبيل أيضاً لتنظيم الهجرة  
بين ربوعها من بعد ، ولأن هذه الهجرة أمر لا بد منه ، لأن بعض البلاد

الإسلامية قد اكتظ بالسكان مع ضيق الرقعة ، وعدم بسط الأرض ؛  
وبعضها قد انفرجت فيه الأرض ، فهي مترامية واسعة الرحاب ، خصبة  
الجناب ، وسكانها قليلون ، نخصبها موات لا ينتفع به ، وأرضها مغمورة  
لأنبات فيها .. ولا حياة ...

ولقد أخذ أعداء الإسلام يبدون في ربوعنا نظرياتهم الباطلة ، التي  
اخترعوها للمسلمين .. وهي حد الفسل ، وأكثروا من القول في البلاد التي  
اكتظت ، لينفذ النسل فيها ، والنسل في ذاته قوة وثروة ، إن أحسن  
استغلالها أنت بأبرك الثمرات ، ولو وزع المسلمون في بقاع الإسلام  
لا تنفعوا بكل خيراتها ، واستخرجوا بناييعها ، وكانوا قوة في الأرض  
يتفاخر بها ، وتحشى صولتها ، ويحسب لكلماتها ألف حساب ، ولا تبقى عالة  
على الأحلاف الأجنبية ، والإعانات الاستعمارية ... !

### الحج والتمارف الإسلامي :

والحج سبيل للتمارف الإسلامي ، وطريق الوحدة ، لو نظم على وجهه  
تشرعى الصحيح ، وقد كان المسلمون الأولون حريصين على أن يجعلوا  
منه سبيلا للتمارف الإسلامي ، والدراسة الفقهية ، والرواية للأحاديث  
النبوية ، وقد كان الخلفاء الراشدون حريصين على أن يرأسوا موسم  
الحج بأنفسهم ، وظل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حريصا على أن يلتقى  
بعمال الأمصار جميعا في موسم الحج ، يتعرف أحوال من وراءهم . وكان  
ينزل إلى الحجاج من كل إقليم إسلامي يتعرف شئونهم ، وأحوالهم ،  
ومعاملة الحكام لهم ، وكثيرا ما كان يخطب في عرفات خطبة جامعة بين

فيها علاقة الحاكم بالمحكوم ، وقد سن النبي صلوات الله عليه - في خطبة الوداع سنة التعريف بالإسلام وحقائقه ، وقد كان أئمة الفقه رضوان الله عليهم . حريصين على حضور موسم الحج ، لياتقوا علماء الأمصار بعضهم ببعض ، فيتذاكروا مسائل العلم وأحوال المسلمين .

وهكذا كان الحج في الماضي مثابة التعارف الإسلامي ، وإنه لن تكون لنا قرة في الأرض إلا إذا حققنا معاني العبادات الإسلامية ومقاصدها وغاياتها ، وماتوى إليه بالإشارة ، وما يصرح فيه بالعبارة ، وإن خيراً ما يرمى إليه الحج . هو التعارف الإسلامي الذي يجتمع به شمل المسلمين ، ويتلاقون فيه على مائدة الرحمن ، فيتبادلون الشورة في كل أمر يستقيم به عمود الدين ، وتقوم عليه مصالح المسلمين .

وإن تنظيم الحج على هذا النحو يقتضى عملاً من الحكومة الإسلامية القائمة على سدانة البيد الحرام ، وحراسة المسجد النبوى ، فإن عليها أن تعرف على العلماء الذين يقومون بفريضة الحج ، وتقيم ندوات علمية بينهم ، فالفقهاء يجتمعون في ندوات تدارس الفقه ، والاقتصاديون يجتمعون في ندوات تدرس الاقتصاد ، والمهندسون والأطباء ، وهكذا يكون الحج مثابة للمعرفة ، كما هو مثابة للناس وأمن ؛ وبذلك يشهد المسلمون منافع لهم .

## اللغة العربية :

ولانه لا يتم التعارف بين المسلمين إلى إذا وجدت لغة جامعة / بينهم ، بحيث ينزل المسلم في أى مكان فلا يتعذر عليه الخطاب ، ولا يستعصى عليه البيان إلا بترجم ، ولا نقصد بذلك نحو اللغات القومية التى انبعثت مع الشعوبية في القرون الخوالى ، حتى تتحرك العصيات الإقليمية التى يحاول أعداء الإسلام محاربة الوحدة بتأجيحها، إنما نقصد أن يتعلم المثقف المسلم بجوار لغة بلاده القومية لغة إسلامية هى الجامعة بين المسلمين ، وإننا نرى الآن الشباب المثقف في البلاد الإسلامية يتعلم مع لغة قومه لغتين أوروبيتين أو أكثر ، فلو قلنا إن على المسلم المثقف أن يستبدل بإحدى هاتين اللغتين لغة تجمع بينه وبين إخوانه المسلمين ، ويستطيع بالتخاطب بها معهم ، لا نكون قد قلنا شططا ، ولا نكون قد أرهقناه من أمره عسرا ، ولا نكون قد اعتدينا على قوميته التى نبالغ في الاستمساك بها . فإننا نلرجو أن يكون في قلبه موطن لدينه بجوار قوميته، ونريد أن تكون قوميته لقوة المسلمين.. لا للتدابير فيما بينهم .

إننا ننزل في أى بقعة من بقاع العالم الإسلامى ، فنجد من يستطيع التكلم بالإنجليزية ، ولذلك لا يكون الإنجليزى غريبا في ديار الإسلام ، ويسارع المسلمون بالتحدث إليه بلغته مفاخرين بذلك مباهين ، ونحن لا نريد أن نلغى الإنجليزية بالنسبة لأولئك المتعصبين لها ، بل نقول لهم تعلموا معها لغة تمكن إخوانكم المسلمين من أن يخاطبوكم . . أليس من العار أنه في حرم الله الآمن في الحج .. يلتقي المسلم العربى بالمسلم الهندى ؟ فلا يستطيع أحدهما أن يخاطب الآخر إلا إذا توسط بينهما اللسان

الإنجليزى ، وأليس من الغرابة أن يدعو الله باللغة العربية ، ويخاطب أخاه المسلم بالإنجليزية ؟..

إن وجود لغة جامعة أمر لا بد منه ، وإذا كان لنا أن نختار لغة ، فأى اللغات نختار ؟ إن البدعة تقول : إنها اللغة العربية ، بل إن بعض القراء قد يجد غرابة فى توجيه السؤال ، إذ لا موضع له لأن الأمر المتيقن الذى تقرأه البداءة لا يسأل عنه ، ويكون السؤال عنه غريبا فى المنطق والعقل .

ولسنا نعلم الله ندعو إليها تعصبا للعرب ، ولا إحياء للعصبة العربية ، حتى يوجد من يناهض قولنا باسم العصبة الشعوبية ، ولكن ندعو إليها لأنها لغة القرآن ، ولغة السنة ، ولغة العبادة الإسلامية . فهل من المسلمين من يصلى بغير قراءة الفاتحة ، وهل من المسلمين من يكبر بغير العربية ؟ وهل من المسلمين من يتلو القرآن بغير العربية ، ويعتبر تلاوته عبادة لله تعالى . ؟؟

لقد أوجب الإمام الشافعى على كل مسلم أن يعرف قدرأ من العربية يصحح به أمر دينه ، وبني ذلك على نزول القرآن بلغة العرب . لا بلغة غيرها ، وإن ذلك القول متسق سليم ، لأنه كيف يسوغ لشخص أن يقرأ الفاتحة من غير أن يفهم ما اشتملت عليه من دعاء وضراعة ، وكيف يسوغ له أن يقول : الله أكبر . . . من غير أن يعرف معناها . وكيف يسوغ لخطيب على منبر أن يخطب خطبة الجمعة بالعربية لمن لا يفهمونها .. بل كيف يسوغ لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يتلو القرآن ويستمتع إليه ، من غير أن يعرف آيات الترغيب والترهيب . والآيات الكونية من الآيات التى توضح الأحكام وتبينها .. ؟؟



لذلك نجد أن اللغة العربية هي اللغة التي تجمع شمل المسلمين، وتقرب ما بين الموحدين ، ولسنا كما ذكرنا - نقول تعصبا للعربية لذاتها ، بل نقول تعصبا للإسلام ، إذ صارت اللغة العربية وعاءه ، وإن المسلمين في كل بقاع العالم يدركون هذه الحقيقة ، وهي أن العربية لغة الإسلام ، ولا يفهم الإسلام من لا يفهمها.. يقرر ذلك العامة من المسلمين ؛ والمثقفون منهم ، إلا أولئك الذين طمس الله على أبصارهم.. فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ..!

إن هؤلاء بلغ بهم الغرور أن سوغوا لأنفسهم الاجتهاد من القرآن وحده ، وهم لا يعرفون لفظا عربيا واحدا ، فأولئك قوم بور ، أو كما قال نغر الدين الرازي في أمثالهم... إنهم قوم سدى ، لم يهتدوا ، ولم يستمعوا إلى كلمة الحق التي تهديهم .

إن اللغة العربية ليست لغة القرآن والسنة فقط ، بل هي التراث الإسلامي كله ، فالفقهاء على شتى مناهجهم ومذاهبهم قد دونوا آراءهم باللغة العربية ، وعلماء الكلام على اختلاف مناهجهم قد خلفوا آثارهم باللغة العربية ، وكذلك الفلاسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي ، وتفسير القرآن وتخريج الأحاديث ، كل أولئك كان باللغة العربية . وكيف تترك علوم نغر الدين الرازي ، وعلوم الغزالي والزمخشري ، وعلوم أبي بكر الجصاص ، وغيرهم من كبار علماء فارس وخراسان وما وراء النهر ، الذين درنوا باللغة العربية كنوزاً من العلم وآثار الفكر ، سواء أكانت في المعقول أم كانت في المنقول .

نعم .. إن بعض آثار العلماء كان بغير اللغة العربية ، ولكنه إذا ووزن بما كان بالعربية .. كان نادرا .

فإهمال اللغة العربية لإهمال لصدر تاريخنا ، وما يليق بمثقف إسلامي أن يجهل صدر تاريخ الإسلام ، ولا يليق بمثقف إسلامي أن يقرأ عدة تراجم بالانجليزية .. لخطباء اليونان والرومان ، ولا يقرأ خطب الرسول — صلوات الله عليه — وخطب علي وعمر وأبي بكر ، ولكن هذه الأمور البديهية صارت غريبة عند أولئك الذين استضعفوا أنفسهم وارتضوا بأن يكونوا تابعين لأعداء الإسلام ، وذيو لا لدولهم ..

✕ إن الشعوب الإسلامية على تباعد أقطارها ، كر لغاتها متأثرة باللغة العربية ، فالفارسية فيها ألفاظ عربية كثيرة والأردنية لغة باكستان فيها ألفاظ عربية تبلغ نحو ستين في المائة منها أو تزيد ، وذلك لأنها كانت اللغة الجامعة في الماضي ؛ حتى كان الافتراق ، فعندئذ تصير ظلمها ، ولا أقول ذلك لأنها كانت مظهر الاجتماع والتلاق ، وتعلمها في البلاد الإسلامية مظهر التصدع والافتراق ، ولكن أقول ذلك لأن تعلم اللغة العربية أسهل من تعلم أى لغة أخرى بالنسبة لؤلاء المسلمين ، لكثرة الألفاظ العربية فيها ، ولأنهم يتلون القرآن ، بل يحفظونه باللغة العربية ، ولذلك قال بعض أهل الخبرة :

« إن الباكستاني يستطيع أن يتعلم العربية وينطق بها في مدة لا تزيد على ستة أشهر مهما تكن سنه ، ومهما يكن مقدار ثقافته .. ، ولكن يحول بينه وبين تعلمها وهم مضعف ، وغاشية تحاجز بينه وبين الحقائق الدينية المقررة ، التي توجب معرفة العربية لمن يريد أن يتعرف شئون دينه من مصادرها .

وإذا كان حتما على المثقف المسلم الذي لا يعرف العربية أن يتعلمها ،

حق على كل من يعرفها أن ينهض لتعليمها ، وإن تعليمها فرض كفاية على جماهير المسلمين عامة ، وعلى العرب منهم خاصة ، فعلى غير العرب أن يهتئوا الأسباب ، وعلى العرب أن يتقدموا لتعليمها ، فإننا نعرف أن أن ملايين من الباكستانيين يريدون معرفة العربية لغة دينهم ، ليفهموا القرآن الحكيم ، وليتصلوا بمصادر الشرع من غير وساطة تتوسط ، وهناك الجماعات الكثيرة التي ندبت نفسها لهذا العمل الجليل ، وإننا نأعرف أن بعض هذه الجماهير تقوم بوضع معجم للقرآن باللغة الأردنية ، ليسهل على من يحفظ القرآن أن يعرف العربية ، وإن حفظ القرآن فيهم عدد كبير يضمن تواتر القرآن في الأجيال ، وإن جماعات كثيرة هناك تفتش المدارس بتمويل أهل الخير ، ولكنها لا تجد العدد الكافي من المدرسين . وعلى البلاد العربية مجتمعة أن ترسل المعلمين لإيها . فإن تعلم العربية فريضة محكمة . ولقد قال صلوات الله عليه :

« تعلموا العربية وعلموها الناس . . . ولا تسقط عنا التبعة جميعا ، إلا إذا أجبنا ذلك النداء الخالد الثابت في حكمه إلى يوم القيامة ، وهو لسان الملك الذي حمل القرآن إلى النبي الأمين :

« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين . . . »

## وحدة .. لا نزاع فيها

الوحدة الدولية هي الشقة التي تحاشينا القول فيها ، فإن الكلام في السياسة بغض ، لأنه حيث تكلم المتكلم فيها تحركت شكوك ، ومن وراء عجاجة الشكوك ينفذ العدو ، ويجد الثغرة التي يزيد بها الفقرة والانتسام ، ويحركها المطامع ، وحيث تحركت المطامع انشعبت الجماعات ، وإذا انشعبت ذهبت الثقة ، وكانت القطيعة ، ووجد الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل - باب القول متسعا ، والميدان منفرجا ، فينفثون سمومهم ويبدون ما يريدون ويبتغون ..

ولكن لابد من الكلام في هذا ، ولابد أن نصدع بالحق فيه ، ولكننا لن نوغل في السبيل ، بل نشير إشارة ، ونلم للمامة ، واضعين الرسوم والحدود ، ولسنا مفصلين للقول ، فإن ذلك يحتاج إلى مجلدات ، ويحتاج إلى أهل الذكر والخبرة .. ولست منهم .

ونكتفي بأن نقرر بأنه يجب أن يكون للمسلمين وحدة سياسية ووحدة اقتصادية ، وأن يتكون من المسلمين كتلة متحدة كالجسد الواحد ، ويتحقق فيها معنى قول الرسول صلوات الله عليه :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل كالجسد الواحد ... إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر .. »  
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .. »

ولسائل أن يسأل : على أى شكل تكون الوحدة السياسية .. ؟

يجب قبل الإجابة عن هذا السؤال أن نقول : إن المسلمين - كما  
يقرر القرآن والسنة وما أجمع عليه السلف الصالح - يعلمون أن عليهم  
واجبات بالنسبة لبعضهم مع بعض ، وهي واجبات متفق عليها ،  
لا يختلف فيها مسلم خالص الاسلام :

أول هذه الواجبات - أن المسلمين مجتمعين - عليهم بمقتضى الأخوة  
العامة التى أثبتتها الإسلام ، أن يفضوا نزاعهم فيما بينهم ؛ وألا يتركوا  
قمة منهم تبغى على الأخرى :

« وإن طائفتان من المؤمنين اختلفتا فاصلحا بينهما ، فإن بغت  
إحداهما على الأخرى فقاتلتا التى تبغى حتى تنفى إلى أمر الله ، فإن  
قامت فاصلحا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين - إنما  
المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ،

إن هذا النص يفيد أن المسلمين فيما بينهم جماعة إنسانية ، تحل مشاكلها  
وتقضى نزاعها ، وتيسر السلام بينها .

الواجب الثانى - إن على كل مسلم وجماعة إسلامية ، أن تعتبر  
الاعتداء على أى مسلم اعتداء عليه . فمن اعتدى على إقايم إسلامى فقد  
اعتدى على المسلمين أجمعين ، وكل شبر من أرض الإسلام هو للمسلمين  
أجمعين . وقد قاتل النبى - صلوات الله عليه - الروم لأنهم قتلوا بعض  
الذين دخلوا فى الشام من المسلمين ، ولأن هذا مقتضى كون المسلمين  
أمة واحدة :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون .. »

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يسلمه .. »

ويقرر الله تعالى الولاية الواصلة بين المؤمنين في قوله تعالى :

«إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله،  
والذين آمنوا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض، والذين آمنوا ولم  
يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وإن استنصروكم  
في الدين فعليكم النصر...»

الواجب الثالث - هو أن المسلمين الذين يستضعفهم أعداء  
الإسلام ويذلونهم، يجب على المؤمنين أن يقاتلوا الذين يذلونهم حتى  
يخرجوهم من رتبة الذل إلى الحرية، ليكونوا مع المؤمنين قوة،  
ونسكون كلمة الله تعالى عالية، وإيمنع المسلمون من أن يفتنوا في  
دينهم الذي ارتضوا :

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء  
والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها، واجعل  
لنا من لدنك وليا، واجعل لنا من لدنك نصيراً»

وإن هذا الواجب يتقاضى كل إقليم من أقاليم أهل الإسلام أن  
يتضافر مع غيره، لإخراج الظالمين من أي أرض من أراضي الإسلام  
الذين يسومون أهلها الخسف والذلة والهوان، ويفرضون عليهم الطغيان،  
ولا نكون آخذين بمبادئ الإسلام على وجهها.. إن لم تقم بذلك الواجب  
المقدس، ولا نكون أمة واحدة، ولا نكون طائعين لحكم القرآن..

الواجب الرابع - يجب أن نعمل على أن تكون ولاية أهل الإيمان  
للمؤمنين، فلا تتولى أعداء الإسلام، ولا تجعل لهم ولاية قائمة على المسلمين :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم  
أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين — إنما ينهاكم الله عن  
الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم  
أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

فلا يصح لمسلم أنه يوالى من ظاهروا على إخراج المسلمين من  
ديارهم، أيا كانت صور المظاهرة، ولا أن يوالى الذين يضطهدون المسلمين  
ويريدونهم مغنياً يفتنونه، ومطعماً يطعمونه، ومستراداً لجيوشهم  
ينفذون منه على أعدائهم، لتكون أرض الإسلام طعمة للأنيران، وأعداؤه  
ناجون منها .

وإن ولاية أهل الإسلام لا يصح أن تكون لغير مسلم، أو تكون  
ضد أحد من أهل الاسلام :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل  
ذلك فليس من الله في شيء، إلا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذركم الله نفسه  
والى الله المصير، »

الواجب الخامس — أنه لا يصح لرئيس إقليم من أقاليم الاسلام  
أو ملك من ملوكهم، أن يجعل الثقة في رسم سياسته غير مسلم، فإن ذلك  
منهى عنه بنص القرآن الكريم :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً،  
ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر،  
قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون — ها أنتم أولاء تحبونهم،  
ولا يحبونكم، وتؤمنون بالكتاب كله، وإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا

خلوا عضوا عليكم الا تأمل من الغيظ ، قل . وتوا بغيطكم ، إن الله عليهم بذات الصدور - إن تمسككم حسنة تسوهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها . وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط ، هذه واجبات صريحة يجب الأخذ بها ، وما قلناها من عندنا ، ولا نقلناها من رأى فقيه يخافه غيره ، أو أمر غير مجمع عليه ، بل إنها حقائق مجمع عليها ، وهى معروفة من الدين بالضرورة ، وقد قطعت بها نصوص القرآن الكريم ، وجاءت بها السنة موضحة مبينة ، وكان من بعد ذلك عمل الصحابة للأجداد ، بل وقواد المسلمين ، وحكامهم ، حتى كانت الذلة والضعف ، وإن التاريخ ليحكى أن المعتصم العباسى قد بلغه أن إحدى الأسيرات المسلمات عند الروم : صاحت وامعتصاه . فقال لبيك .. وذهب على رأس جيش من مجاهدى المسلمين - وقا تل حتى فلك إلسار كل المسلمين ...

### الشكل السياسي للوحدانية :

الشكل السياسى للوحدة يجب أن تتحقق فيه هذه المعانى التى لا مناص من الأخذ بها ، إذا كنا مسلمين ، فهى الغاية المنشودة من تكوين الوحدة ، ولا يلزم لتحقيق هذه المعانى أن تكون الدولة واحدة . بل قد تتحقق بصورة قوية إذا لم تكن الدولة واحدة ، ولذلك لا يصلح أن يكون مقصدنا من الوحدة تكوين دولة إسلامية متحدة . يدخل فى تكوينها كل الأقاليم الإسلامية ، فإن الأقاليم الإسلامية منتشرة فى كل بقاع الأرض ، وأيسست متجاورة متلاصقة ، ولا توجد عاصمة فى وسط صالح لأن تكون القطب الذى تدور حوله الأحكام ، وتنبعث



حتمه الأوامر والنواهي، ويسرى منه نظام واحد متنسق، وذلك لأن  
الكل دولة شكلا هندسيا يكون في الإمكان وضع الخطوط والرسوم التي  
تجعلها صورة محكمة متناسقة الأطراف، وإن تكوين دولة مع هذا التباعد  
الموضعي لا يمكن أن يكون كذلك.

وفوق ذلك، فإن تباعد الأقطار، وتناثر الأمصار، جعل لكل إقليم  
عادات وتقاليده هي إطار حضارته، وعناصر كيانه، ولا بد أن تكون  
النظم التي تسن فيه متلاقية مع حضارته، ومتناسقة مع عاداته وتقاليده،  
مادامت حسنة، وغير مخالفة للإسلام.

وفوق هذا وذاك، لا يصح أن ندعو إلى دولة واحدة، حتى لا يزعج  
الملوك والرؤساء، ويخشى كل من هؤلاء على خوزته، ويخاف على  
حصوله، ويخشى الملوك أن تخلع التيجان من فوق رؤوسهم، فيتجردون  
لمحاربة الفكرة ووأدها في مهدها، وتذهب العداوة بها شعاعا...

إذن لا يمكن أن تكون الوحدة السياسية في مظهر دولة واحدة،  
فإن ذلك غير ممكن، وإن كان يمكننا في ذاته فليس سهل التحقيق، وإن  
سهل تحقيقه فليس من المصلحة، وإن الأمة الإسلامية لم تكن منذ  
ختمت الأقاليم دولة واحدة ذات حكومة واحدة، وإن كانت لها رئاسة  
واحدة في المدينة، أو في الكوفة، أو في دمشق، أو بغداد، ثم صارت  
من بعد ذلك حكومات، لكل واحدة استقلالها النسبي وكيانها المنفصل،  
مواقفها ربطها بالخلافة في آخر أدوارها خيط واه يسهل قطعه، ولكن  
أبقوه ليكون عوناً لسلطانهم.

ولنترك فكرة تكوين دولة إسلامية ذات حكومة موحدة، ولنتجه  
إلى صورة أخرى من صور الاتحاد، وقد قل بعض الكتاب:

• إنه يصح أن تكون صورة الوحدة على شكل دول الكومنولث  
 البريطاني، وعلى ذلك يحكم كل إقليم بحكمته، وتكون هناك رابطة جامعة .  
 وقد يكون ذلك الرأى فى ذاته جيدا ، وليس لنا أن نعترض عليه .  
 إلا بأن بعض هذه الدول الإسلامية مرتبط بكمونوث مع بريطانيا ،  
 ويرد ذلك الاعتراض بأنه يجب أنه يزول الارتباط الذى يربطه بتلك  
 الدولة ، التى لا تألو المسلمين إلا خبالا ، وقد اشتركت فى تشييت  
 طائفة كبيرة من المسلمين يعيشون الآن فى العراق ، وقد أخرجوا من  
 ديارهم وأموالهم ، وسكن فيها البغاة بأمر أمريكا وانجلترا وتأييدهما ،  
 وخصوصا أن هذا الكومنولث البريطانى ياتى فيه أعداء المسلمين مع  
 المسلمين ، وهو من قبيل تولى المؤمنين مع الذين ظاهروا على إخراج  
 المؤمنين وليدائهم ، وجعلهم وديارهم غنائم لليهود ، وقربانا يقتربون  
 به اليهم ، ولهذا نقول: إنه يجب أن تقوم الوحدة من غير أى عائق يوقها ،  
 وبأقرب طريق وأسهل ، وإنى لا أتصور أن تقوم الوحدة وهذا  
 الاتصال مع تلك الدول الصليبية أو مثابا ، وإنه يجب أن يذكل  
 عود وكل اتفاق ، وكل ولاء إذا تناقض مع الوحدة الإسلامية التى يجب  
 أن تتحقق فيها الواجبات الخمسة السابقة ، وإنه إذا اتجه المسلمون فى  
 كل الأقاليم إلى وحدة مقدسة ، فستزول تلك العلاقات الآئمة من تلقاء  
 نفسها ، ويكون المسلمون لهم ولاية واحدة جامعة فى ظل الإسلام .  
 على أننى لا أريد أن أرسم بالتعيين فى هذا البحث الشكل النظامى ،  
 الذى يربط الأقاليم بعضها ببعض ، فليكن فى شكل جامعة إسلامية ، أو  
 عصبة أمم إسلامية ، أو كومنولث إسلامى ، إنما يجب أن يتحقق فيه  
 اتحاد السياسة فى كل الأقاليم الإسلامية ، بحيث يوالى كل إقليم إسلامى  
 من يوالى المسلمين ، ويمادى من يماذهم ، وبحيث يعتبر الاعتداء على

أى دولة اسلامية اعتداء على الأمة الإسلامية كلها ، لا على الإقليم الذى اعتدى عليه ، فحسب ..

كما أنه يجب أن تحل المشا كل التى تقع بين الأقاليم الاسلامية بعمل المسلمين ، ويعتبر التدخل من جانب أى دولة أجنبية فى أى شأن من شئون لإقليم إسلامى ، اعتداء على الاتحاد الإسلامى كله ، وكذلك يجب أن تقاطع أى دولة تعتدى أو تحاول أن تعتدى بأى نوع من أنواع الاعتداء على إقليم من أقاليم المسلمين ؛ ولا يصح أن يدخل المسلمون فى أى حلف أجنبى إلا مجتمعين .. وبعد أخذ الرأى والاتفاق على مبدأ معين ، وعلى ألا يأخذ عهد من العهود صفة الدوام ، فإن التوقيت فيه الحذر ، والدوام فيه الخطر ، وكل اتفاق أبدى فيه نسيان لما يكمنه القدر . وهكذا يرسم الاتحاد الإسلامى النظام الذى يجب على الدول الإسلامية التزامه ، ومن يشذ من الأقاليم الإسلامية بعد باغيا ، وكل ملك من الملوك أو رئيس من الرؤساء يخرج عما يرسمه الاتحاد الإسلامى ، يعد خارجا عن ولاء أهل الاسلام ، ومتوليا أعداء الاسلام ، متآمرا معهم عليه : د ومن يتولم منكم فإنه منهم ، والله لا يهدى القوم الظالمين .  
إننا ندعو الى وضع أسس وأحكام للاتحاد الاسلامى ، بعيدة عن الأهواء والأغراض ، وليكن فى شكل جامعة اسلامية ، يكون أمرها حكما وقراراتها نظاما ، على أن يكون عملها فى دائرة المبادئ الخمسة التى بينهاها ، وتعتبر من الدين بالضرورة ، وأهمها المسلمون من وقت أن اشتد التناحر بينهم ، وأخذ يضرب كل ملك بجيشه الملك الآخر ، والرعية مأكولة بينهما ، حتى جاء أعداء الاسلام فابتلعوا الجميع ، وصرنا لا نرى على ظهر البسيطة إقليما إسلاميا غير خاضع لنفوذ أجنبى ، إن لم يكن الأجنبى مستوليا .

## نحو اقتصاد إسلامي :

لا بد أن يكون للأقاليم الإسلامية اقتصاد متعاون :

فالارتباط الاقتصادي بين المسلمين جزء جوهري من الوحدة الإسلامية ، لأن قوى الأمم في هذه الحياة تقوم على الاقتصاد ، فهو أداة من أدوات الحرب ، والعالم الآن يسير الانحدار ، لأنه ببساطة الحروب في أكثر الأحيان ، وليست الحروب الآن في أكثرها إلا تنازعا على بناييع الثروة في الأرض ، فحيث كانت هذه البناييع اشترأبت الأعناق إليها ، وتحركت المظامع نحوها ، وكان التكالب للوصول إليها ، أو الاستحفاظ عليها .

ولقد صارت بناييع الثروة عندنا ، والتي هي في حوزتنا وأرضنا وملكتنا معشر المسلمين ، موضع تنافس أعدائنا ، يلقون إلينا بفئاتها المساقط ، ويجعلون منا آلات الاستغلال ، وأدوات العمل . والنتائج لغيرنا ، فنحن مسخرون لهم . . وما أبقونا إلا لهذه السخرة . .

لذلك لا يذهب عنارق الاستثمار والاستغلال ، ورق السخرة التي تجعلنا نحن المسلمين كأمتنا عبيد الأرض — إلا إذا تعاوننا جميعا على استغلال بناييع الثروة ، التي تجود أرضنا بها ، لتكون الثمرات لنا أولا وبالذات ، ولا تكون لغيرنا إلا إذا كانت فائضة عن حاجة الأقاليم الإسلامية كلها ، وتعاوننا كذلك على ألا تستورد من الأجنبي محصولا أو مصنوعا ، إلا إذا كان ما لا تنتجه أي أرض إسلامية ، وقد كان المسلمون يعرفون ذلك التعاون في صدر الإسلام ومن بعده ، حتى تفرقوا

وتدبروا ، وتدخل عدو الاسلام فيما بينهم ، فصاروا تابعين لغيرهم ،  
ليس لهم إرادة في شئون مالمهم ، ولا نصريفها ، ويؤكلون ولا يأكلون ،  
ويسخرون لمنافع أعدائهم ، ولا ينتفعون ؛ ويتنازع الأعداء على أرضهم  
وأموالهم ، كما تتنازع الذئاب على قطيع من الشاء ... !

إن البلاد الإسلامية قد جمعت خيرات الدنيا ، ففيها معادن الأرض ،  
وفها ينابيع الثروات ، وفيها خير المعادن . فإذا اتجهنا إلى استخراج كل  
هذا في أرضنا لأنفسنا ، فأقننا المصانع حيث يكون وقودها بجوارها ،  
وجمعنا حصاد الأرض ووزعناه بالقسطاس بيننا ، كانت لنا القوة ، وكان  
العيش الوفير ، والخير الكثير ، وما كنا عالة في خيرنا ؛ ولا كلاً في  
شرارتنا ، ولا غرباء في ديارنا ..

وإن التعاون الذي أوجبه القرآن على المسلمين يوجب علينا أمرين  
لأمناس منهما ، وإلا عادت الربة التي خلعناها ، والقيد الذي فككناه ،  
أولهما أن يكون أهل الخبرة الذين ينظمون الاقتصاد منا لا من غيرنا ،  
والآنتجه إلا غيرنا لإلامضطرين ، وإذا اتجهنا — فلا نتجه إلى بلد لا تحيا  
إلا باستغلالنا واستعمارنا ، وإنما نتجه إلى أهل الخبرة من البلاد التي لم نجرب  
عليها شراً ، أو تكون مصلحتها في أن يقوم اقتصادنا على أسس سليمة ..

الثاني — أن تكون الشركات الاستغلالية رؤوس أموالها منا لا من  
غيرنا ، فإن الأجانب عنا لا يريدوننا لإلمضطرين ، ولا يلبثون إلا قليلاً  
حتى يتخذوا أموالهم سيلاً للتحكم فينا ، كذلك كانوا يفعلون في الماضي ،  
ولأنهم يتر بصون بنا الدوائر فتقع فيما وقعنا فيه ، فلتتخذ من الماضي دبرة .  
ولأنه في سبيل هذا التعاون الارتباط ، فيجب أن يكون هناك ارتباط

نقدي ، بحيث يسهل التعامل ، فيكون لكل بلد نقده الداخلي ، ويكون هناك تقدم مشترك جامع ، تنسب كل النمود الإقليمية إليه بمقاديرها ، وتكون لذلك مصارف خاصة ، ليس عملها القرض بالفائدة ، ولكن تسهيل ذلك التعاون . وفي سبيل ذلك التعاون أيضا ، يجب أن تزول كل المحاجزات الجبركية بالبلاد الاسلامية ، فإنها تكون إتاوات ظالمة ، واتعاون يناقضها ، والوحدة الاقتصادية تباينها .

ويجب أن يكون باب الهجرة مفتوحا بين كل البلاد الاسلامية لتعمر أرضها وتستدر خيراتها ، أليس من الغريب أن يكون بعض البلاد الإسلامية قد اكتظت بسكانها ، حتى بلغ أقصى درجات الكثرة كما ذكرنا ، وأن يكون بعض البلاد الإسلامية خاليا من ابن الأرض يعمرها ؟ أليس غريبا أن يكون بالعراق المسلم ، ثمانية عشر مليوناً من الأفدة ، لا ينتفع بها إلا خمسة ملايين من الأنفس ، بينما مضر من أقاليم الاسلام بها نحو أربعة وعشرين مليوناً ، فإذا فتح باب الهجرة ، وأحسن كل مسلم أنه بأرض الاسلام حينما حل ، وأحسن أن كل مسلم ينزل بأرض الاسلام يصيبه خيرها ، ويستطيع أن ينال منه ، وأن ينتقل إلى منابته إذا أراد ، قامت الوحدة الاقتصادية ، وانتفع المسلمون بكل قواهم من زراعية وصناعية ، ومعدنية ، وإنسانية . .

وبعد :

هذه خطوط رسمناها من غير تفسيق ، واكتفينا فيها بالإيجاز بدل الإطناب ، وإن الذى علينا أن نقوله : هو أن الوحدة أمر ضرورى يوجه الدين بصورة قاطعة ، ومنكرها كافر ، وهى أمر توجه المصلحة ، فلا مصلحة نحققها إلا بهذه الوحدة ، وهى أمر يوجه حق الحياة فى الأرض ، باعتبارنا مجتمعاً حياً له كيانه ووجوده ، فإن لم نعرف ذلك فبطن الأرض خير لنا من ظهرها ، وقد وانا الزمان باختلاف أعدائنا ، وبتمكيننا من إزالة غل الاستعمار عن عواتقنا ، فإن لم نتهزها كنا كافرين بنعمة الله تعالى علينا ، ورافضين للحرية . وراضين بالذلّة ، لن كنا غير مؤمنين ، فقد وصف الله المؤمنين حقاً وصدقاً بأنهم :

« أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . . . »

« أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . »

اللهم ألهمنا طلب العزة ، وقدّنا على السير فى طريقها ، وتحمل أعبائها . واجعلنا خير أمة أخرجت للناس . .

## الكتب التالية في هذه السلسلة

- الدكتور عثمان خليل
- الاستاذ الشيخ محمود شلتوت
- الدكتور محمد يوسف موسى
- الدكتور محمد البهى
- الدكتور محمود حب الله
- المرحوم الدكتور عبد الله دراز
- الاستاذ الشيخ مصطفى الزرقا
- الدكتور محمد عبد الله العربى
- الدكتور على حسن عبد القادر
- الدكتور عبد الحليم محمرد
- الاستاذ أحمد مظهر العظمة
- الدكتور سليمان دنيا
- الدكتور مصطفى الشكعة
- الاستاذ مالك بن نبي
- الكولونيل عبد الله التل
- الاستاذ محمد فتحى عثمان
- الاستاذ محمد عبد الله السمان
- الديمقراطية الاسلامية
- الاسلام عقيدة وتشريع
- الاسلام .. ومشكلاتنا الحاضرة
- الاسلام .. والفلسفات المعاصرة
- نظرة الاسلام للإنسان
- المسؤولية في الاسلام
- الفقه الاسلامى فى ثوب جديد
- الاسلام .. وأصول الاقتصاد
- الاسلام .. وأصول الحضارة
- أوروبا .. والإسلام
- الاسلام .. ونهضة الأندلس
- الدين .. والعقل
- إسلام .. بلا مذاهب
- فكرة كومنولث اسلامى
- الفن العسكرى فى الاسلام
- الدين .. لواقع
- سعيد بن جبير





## سلسلة الثقافة الإسلامية

- \* شعارها: الاسلام . . والانسانية
- \* هدفها : تقديم زاد من الثقافة الاسلامية الخالصة لابرار القيم العظيمة للاسلام . .
- \* بحوثها : بحوث إسلامية مستقلة . . لاتخدم مذهباً ، ولا تتعصب ضد مذهب . .
- \* كتابها : نخبة من أصحاب الفكر ، ممن يتوفر في أشخاصهم العقيدة والعلم والاعتزاز بهما معاً . .
- \* مبدؤها: حرية الرأي للكاتب حق مقدس ، ما لم تخدم هوى ، أو تركب شططا . .
- \* غايتها : أن نؤدي واجباً في مجال الثقافة الاسلامية لا نطلب به رزقاً ، ولا نبتغي به مشوبة إلامن الله وحده . والله الموفق . .